سياسة الرسول

صلى الله عليه وسلم

فى جهاده مع يهود المدينة

إعداد

الدكتور/ عبد الله شعبان

مدرس الحديث وعلومه

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي ..

الحمد لله على آلائه، والصلاة والسلام على صفـــوة أنبيائـــه، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ...

فإن السنة النبوية هى التطبيق العملى للقرآن.

وهى قارب النجاة، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق.

فوجب ضبط كل أمر بضوابطها.

ففيها تفصيل كل شيء.

والحياة فى ظلالها.

فالحياة فى ظلالها، حياة فى ظلال القرآن.

والسيرة هى التطبيق العملى، المنهجى للسنة.

لا غنى للأمة عنها، ولابد منها.

فوجب إعادة الربط من جديد، وتمتين الصلة مع هذا التطبيق.

ومن سماتها الأصيلة كمنهج؛ العمل، الحياة، الحركة، القوة ... والتوظيف السليم النافع.

فى ضوء الواقع، وفهم مقتضيات وظروف العصر.

فى السيرة قواعد وضوابط للبناء.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأسس للتعامل ونعم زاد الانطلاق.

مما يكفل للمتعاملين بها، ولها التوفيـــق، والتسديد، والتعريف المبين إن شاء الله تعالى.

- لقد أفردت السنة النبوة، كما فعل القرآن الكريم مساحات واسعة للحديث عن بنى إسرائيل.

موقفهم من النبوة والأنبياء ...

وصفهم الله تعالى بما لا يليق بذاته المقدسة.

أخلاقهم، طباعهم، وما جبلوا عليـــه مـــن ذميـــم الصفـــات.

لماذا ....؟

ربما لأنهم أصحاب آخر دين سماوى قبل الإسلام.

وربما لأن لهم صحائف شتى، وتجارب متنوعة.

أو لأن عداءهم متأصل مستحكم فى نفوسهم للأمة الإسلامية.

وأنهم أول من يواجهها بالكيد، والمكر، والعداء ....

علم الله كل هذا.

فأراد أن يكون واضحا، ماثلا لذوى الأبصار، فلا نقـــع فيما وقعوا فيه فتكون النتيجة، أن يحل بنا ما حل بهم.

إن حديث القرآن والسنة عنهم مليئ بوصفهم، ووصف طباعهم ومدى ما فيها من التواء، وانطواء على الغدر، والحقد، والشـــح والحرص على الحياة.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و هى أحكام نهائية، قاطعة..

فوجب الاعتبار، والانتهاء إلى ما انتهى إليه القرآن والسنة من
قرير وأحكام.

ولنحذر المغالطة.... والمخالفة..

﴿ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾
تحريم /٨

وأرزقنا اللهم بصرا نافذا عند ورود الشبهات، وعقلا راجحا
عند حلول الشهوات، ونورا نمشى به فى الظلمات، وميزانا
ستضيء به فى مفارق الطرقات.

اللهم آمين.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والبحث بعد التقدمة، يدور حول:

أ- التعريف بالغزوة والسرية والفرق بينهما.

عدد غزوات الرسول ﷺ وسراياه.

ب- سياسة الرسول ﷺ فى جهاده مع اليهود.

موادعة اليهود، بنود الموادعة، إستثناء قبائل "بنى قينقاع والنضير، وقريظة" من الموادعة، فهل وفى اليهود..؟

مجمل شناعات اليهود.

الوجود اليهودى فى المدينة، "بنو قينقاع"

أول من حارب المسلمين من اليهود.

تحرك الرسول ﷺ.

كعب بن الأشرف ودوره فى إنماء روح العداء للإسلام.

خطورة الكلمة، وكيف أنها أشد من محاولات القتل.

"بنو النضير" وسبب ذهاب النبى ﷺ إليهم.

الأحكام الشرعية المقترنة بغزوة بنى النضير.

"بنو قريظة" ونقضهم للعهد.

التحكيم، واختيارهم لسعد بن معاذ رضي الله عنه.

الحكم وتأييد النبى ﷺ له.

تحقيق القول فى عدد القتلى، الغنائم.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من مناقب سعد بن معاذ- ﷺ.

"بنو قريظة" الدروس والعبر.

من نتائج البحث.

جـ- التزمت قدر الإمكان بمتطلبات البحث، وما تفرضه من تأصيل وتوثيق، ورد الأقوال إلى قائلها، فذلك كله من بركات العلم.

والله من وراء القصد.

وهو سبحانه حسبنا ونعم الوكيل

الباحث

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أ - غزوات الرسول ﷺ وسراياه

التعريف بالغزوة والسرية والفرق بينهما.

عدد الغزوات والسرايا.

- الغزوة: القصد والطلب.

ومغزى الكلام: مقصده.

والغازى: الطالب.

ويراد بالغزوة: ما وقع من قصد النبى ﷺ العـــدو بنفسه، أو بجيش من قبله.

هذا القصد أعم من أن يكون إلى بلادهم، أو إلى الأماكن التى حلوا بها؛ كأحد، والخندق.(١)

- والسرية: طائفة من الجيش يبلغ عددها أربعمائة، تبعث إلى العدو.

سموا كذلك؛ لأنهم ينفذون سراً وخفية.

ولم يرتض ابن الأثير(٢) هذا قائلا: وليـــس بالوجـه؛ لأن لام السر راء، وهذه ياء.(٣)

١- أنظر: معجم مقاييس اللغة ٤/٤٢٣، المفردات/٣٦٠، فتح البارى ٧/٢٧٩.

٢- مجد الدين: المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم "٥٤٤-٦٠٦ هـ" له ترجمة فى: التكملة للمنذرى ٢/١٩١، وفيات الأعيـــان ٤/١٤١، ســير أعــلام النبلاء ٢١/٤٨٨.

٣- النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢/٣٦٣.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- **وكلمة مغازى** أعم من أن تكون غزوة أو سرية.

ويظهر الفرق بينهما من حيث العدد؛ فعدد أفراد السرايا غالبا ما يكون قليلاً، ولذلك ففى قول ابن الأثير: يبلغ عددها أربعمائة، نظر.

كذلك من حيث المهمة والهدف.

فهدف السرايا؛ استطلاع، وإغارة، وقتال ويكون محدوداً، جمع المعلومات، وإشعار العدو بقوة المسلمين، وإمكان التضييق عليه فى أى وقت. وهو بهذا سيخفف ولاشك من إحكام قبضته على المستضعفين بمكة، وإعلام قريش أن للمسلمين قوة من حيث كونه حافزاً لدخولهم فى الإسلام كذلك.

وفى ذلك حقن لدمائهم، فإن هى تلكأت فستكون حصاد الحرب.

وعلى أقل تقدير فإن قوة الإسلام ستضايقهم بالحق، كما ضايقتهم قريش بالباطل.

هذا فيما يتعلق بقريش باعتبارها العدو الأول، وإن جاءت المضايقات من غيرها كذلك.

ويفرق بينهما كذلك من حيث حضور النبى ﷺ وعدم حضوره، فالغزوة ما خرج فيها قائداً ومجاهداً بنفسه، سواء قاتل أم لا.

واللافت للنظر أن الرسول الكريم ﷺ قد ابتدأ أعماله الجهادية بانفاذ السرايا.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فمن ذلك:

سرية حمزة بن عبد المطلب فى رمضان.

سرية عبيدة بن الحارث فى شوال.

سرية سعد بن أبى وقاص فى ذى القعدة.

وجميعها فى السنة الأولى من الهجرة.

ولم يحدث فيها قتال إلا ما كان من أمر سعد بن أبى وقاص فى سرية عبيدة بن الحارث، فقد جرت مناورات بين الطرفين رمى فيها سعد ﷺ بأول سهم فى الإســـلام، وآخـر قتيل ابن الحضرمى.

ويلاحظ أن الرسول ﷺ كان يختار رجالها من قريش، ولم يكن معهم من الأنصار أحد.

عدد الغزوات والسرايا:

بلغ مجموع عمليات الجهاد فى العهد النبوى أكثر مـن ستين عملية، تولى الرسول ﷺ بنفسه قيادة ثمان وعشرين منها، خرج فى ثمان منها بنفسه.

وقد اختلف المؤرخون فى عدد الغزوات، ولم يكن الاختلاف فى أصل الوقائع، إنما كان بسبب اختلافهم فى حضور النبى ﷺ وعدمه، كما كان الاختلاف سببه حضـــور الصحـابى الـرواى الأعلى وعدمه، كذلك فمن أسباب الاختلاف ما حصل من إدماج البعض لغزوة فى أخرى باعتبار قربهما، بينما يفردهما غيره.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ففى صحيح البخارى[1] ان زيد بن ارقم[2] قيل له: كم غزا النبى ﷺ من غزوة؟ قال: تسع عشرة.[3]

قال الحافظ[4]: ومراده الغزوات التى خرج النبى ﷺ فيها بنفسه سواء أقاتل، أم لم يقاتل.[5]

وعند مسلم[6] من حديث أبى الزبير[7] انه سمع جابر[8] يقول: غزوت مع الرسول ﷺ تسع عشرة غزوة.

قال جابر: لم أشهد بدرا ولا أحدا.[9]

فبإضافة بدر وأحد إلى عدد مشاهداته يصبح المجموع إحدى

١- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم "١٩٤- ٢٥٦ هـ" له ترجمة فى: تاريخ بغداد ٤/٢، اللباب ١٢٥/٢، وفيات الأعيان ١٨٨/٤، سير أعلام النبلاء ١٩١/١٢، تذكره الحفاظ ٥٥٥/٢، تهذيب التهذيب ٤٧/٩.

٢- زيد بن أرقم بن زيد أبو عمرو صحابى جليل مشهور. "ت ٦٦هـ" له ترجمة فى: طبقات ابن سعد ١٨/٦، الجرح والتعديل ٥٥٤/٣، سير اعلام النبلاء ١٦٥/٣، تهذيب التهذيب ٤٧/٩.

٣- صحيح البخارى ٩٠/٥.

٤- أحمد بن حجر العسقلانى "٧٧٣-٨٥٢ هـ" له ترجمة فى: ذيل تذكرة الحفاظ للسيوطى/ ٣٨٠، طبقات الحفاظ/ ٥٥٢، شذرات الذهب ٢٧٠/٧.

٥- فتح البارى ٢٨٠/٧.

٦- مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى "ت ٢٦١ هـ" له ترجمة فى: تاريخ بغداد ٣/ ١٠٠، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٨، شذرات الذهب ١٤٤/٢.

٧- أبو الزبير: محمد بن مسلم بن تادرس. المكى. حدث عن جمع من الصحابة "ت ١٢٨ هـ" له ترجمة فى: تهذيب التهذيب ٩/ ٤٤٠. ميزان الاعتدال ٤/ ٣٧.

٨- جابر بن عبد الله الأنصارى. من مشاهير الصحابة ومن أهل بيعة الرضوان "ت ٧٨هـ" له ترجمة فى: سير أعلام النبلاء ١٨٩/٣، تذكرة الحفاظ ١/ ٤٠. تهذيب التهذيب ٢/ ٤٢.

٩- صحيح مسلم ١٤٤٨/٣، مسند أحمد ٣٢٩/٣، مسند أبى يعلى ١٦٨/٤ مستدرك الحاكم ٥٦٥/٣ وصححه واقره الذهبى.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعشرين، وعليه فقد فات زيد بن أرقم ذكر اثنتين.

ويحتمل أن ذلك قد خفى عليه لصغر سنه، يدل على ذلك سئل عن أول غزوة غزاها؟ فقال: العشير، أو العشيرة.

والعشيرة هى الثالثة من حيث الترتيب.

ويحتمل أنه أجاب بالعشير باعتبار أنها أول مشاهداته رسول الله ﷺ ويكون قد خفى عليه ما قبلها، أو أنه عد الغزوة واحدة باعتبار الضم لقربهما، وهذا وارد عند البعض، يعد الأحزاب مع بنى قريظة واحدة؛ لكونها فى إثرها، ويفردها البعض لكونها منفردة، كذا وقع للبعض اعتبار الطائف وحنين واحدة.

وبهذا يتم الجمع والتوفيق بين كلام زيد بن أرقم. وجابر بن عبد الله ﷺ.

وذكر ابن سعد[1] فى طبقاته أن عدد مغازى رسول الله ﷺ التى غزا بنفسه سبعاً وأربعين سرية، وكان ما قاتل فيه من المغازى تسع غزوات هى:

بدر، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف.[2]

١- محمد بن سعد بن منيع البصرى الحافظ كاتب الواقدى. "ت ٢٣٠ هـ" له ترجمة فى: تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢٥، ميزان الاعتدال ٣/ ٥٦٠، وفيات الأعيان ١/ ٥٠٧، شذرات الذهب ٢/ ٦٩.

٢- طبقات ابن سعد ٢/٥.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا جاء عدها مرتبة مفصلة، واعتبر الحافظ ابن حجر ذلك هذه نوع توسع.

كذلك فإن حصرها فى الطبقات ست وخمسون لا سبع وأربعون وقوله: قاتل فى تسع خلاف المشهور، اللهم إلا أن يعتبر أن فتح مكة كان عنوة، وفيه خلاف بين العلماء، فمنهم من يرى كالشافعى (١) وموافقيه أن مكة فتحت صلحا.

وعند عبد الرزاق(٢) فى مصنفه باب: كم غزا النبى ﷺ ؟

أورد تحته عن ابن شهاب(٣) قال: سمعت ابن المسيب(٤) يقول: غزا النبى ﷺ ثمانى عشرة غزوة، قال: وسمعت مرة أخرى يقول: أربعة وعشرين غزوة. فلا أدرى أكان وهما منه، أو شيئا سمعه بعد ذلك؟

قال الزهرى: وكان الذى قاتل فيه النبى ﷺ كل شيئ ذكر فى القرآن. (٥)

١- الإمام العالم محمد بن ادريس بن العباس بن شافع "١٥٠ – ٢٠٤هـ" له ترجمة فى: طبقات الشيرازى/ ٧١، تاريخ بغداد ٢/ ٥٦، سير أعلام النبلاء ١٠/٥، تذكرة الحفاظ ١/٣٦١، تهذيب التهذيب ٩/٣٥.

٢- عبد الرزاق بن همام الصنعانى. أحمد الأعلام "ت ٢١١هـ" له ترجمة فى: ميزان الاعتدال ٢/٦٠٩، تهذيب التهذيب ٦/٣١٠، طبقات الداودى ١/١٩٦، شذرات الذهب ٢/٢٧.

٣- محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى "٥٠ – ١٢٤هـ" له ترجمة فى: طبقات الشيرازى/٦٣، وفيات الأعيان ٤/١٧٧، سير أعلام النبلاء ٥/٣٢٦، تذكرة الحفاظ ١/١٠٨.

٤- سعيد بن السيب بن حزن، سيد التابعين علما وعملا "ت ٩٤هـ" له ترجمة فى: تذكرة الحفاظ ١/٥٤، تهذيب التهذيب ٤/٨، طبقات الحفاظ/٢٥.

٥- المصنف ٥/٢٩٤.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أما السرايا فعند ابن سعد ست وخمسون.

وعند ابن اسحق[1] ست وثلاثون.

وعند ابن الجوزى[2] كما فى "التلقيح" ست وخمسون.

وعند المسعودى[3] ستون.

قال الحافظ: وبلغها شيخنا فى "نظم السيرة" زيادة على السبعين.

ووقع عند الحاكم[4] فى "الإكليل" أنها تزيد على مائة، فلعله أراد ضم المغازى إليها.[5]

هذا العدد من الغزوات والسرايا ليس بالقليل خاصة إذا علمنا أنه قد وقع فى أقل من عشر سنين.

وقد احتوت على شتى صور وأشكال الجهاد، والأعمال العسكرية.

فكم من المسافات قد قطعت خلال هذه المدة.؟

وكم من العتاد قد هيء.؟

١- محمد بن اسحق بن يسار، امام المغازى. "ت ١٥١ هـ" له ترجمة فى: شذرات الذهب ١/٢٣٠.

٢- أبو الفرج عبد الرحمن بن على، الإمام الحافظ، شيخ المفسرين. "٥٠٩-٥٩٧هـ" له ترجمة فى: وفيات الأعيان ٣/١٤٠، سير أعلام النبلاء ٢٠/٣٦٥، تذكرة الحفاظ ٤/١٣٤٢، ذيل طبقات الحنابلة ١/٣٩٩.

٣- المسعودى. على بن الحسين. المؤرخ، صاحب مروج الذهب.

٤- محمد بن عبد الله. الحاكم النيسابوى "٣٢١ - ٤٠٥ هـ" له ترجمة فى: تاريخ بغداد ٥/٤٧٣، ميزان الاعتدال ٣/٣٠٨.

٥- فتح البارى ٧/٢٨١.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن الأعمال قد تنوعت ما بين أعمال تنتهى بالمسالمة – لم يقع فيها قتال – والقصد إعلام العدو أن للإسلام قـــوة، وأن الله قـد أعزه.

ويدخل فى هذا ما كان قبل معركة بدر الكبرى.

الأبواء، ودان أبواط. العشيرة، بدر الأولى، بنو سليم.

- أعمال دفاعية تحرك فيها العدو حتى وصل إلى المدينـــة، أو قريبا منها، ويدخل فيها:

غزوة بدر الكبرى، أحد، الخندق.

- ابتداء هجوم من قبل المسلمين.

فتح مكة، حنين، تبوك.

- عمليات تم فيها حصار الأعداء.

إجراء قتال داخل المدن والحصون، مثل: خيبر.

وهكذا فإن الرسول ﷺ قد قدم مع صحابتـــه الكـرام أعمـالا جهادية عديدة، وأشكالا من الحروب متنوعة.

ويأتى توزيع هذه الأعمال باعتبار السنوات على هذا النحو:

ويلاحظ انه بعد كل عملية موجهة إلى الكفار يتبعها النبـــى ﷺ بعملية موجهة نحو اليهود.

كما يلاحظ أنى قد اكتفيت بالأعمال الجهادية التى باشرها النبى ﷺ بنفسه.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السنة الثانية ثمانى عمليات، هى:

اسم العملية غزوة أو سرية	قوة الطرفين		المكان	التاريخ	أهم النتائج
	المسلمين	الأعداء			
ودان — الأبواء	٢٠٠	—	ودان	صفر من السنة الثانية	التحالف بين بنى ضمرة
بواط	٢٠٠	١٠٠	بواط	ربيع الأول	—
العشيرة	٢٠٠	تحالف من عدة قبائل	العشيرة	جمادى الأولى	موادعة بنى مدلج
بدر الأولى	٢٠٠	قوة ضعيفة	بدر	جمادى الآخرة	فرار المشركين بما غنموه
بدر الكبرى	٣١٥	٩٥٠	بدر	رمضان	انتصار حاسم للمسلمين
بنو قينقاع	مسلمو المدينة	بنو قينقاع	المدينة	أول شوال	جلاء بنى قينقاع
بنو سليم	٢٠٠	بنو سليم	قرقرة الكدر	أواخر شوال	فرار بنى سليم
السويق	قوة خفيفة	٢٠٠	قرقرة الكدر	ذو الحجة	الفرار أمام قوة المسلمين

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السنة الثالثة أربع عمليات، هي:

بنو أسد	٤٥٠	بنو ثعلبة	موضع عند نجد	المحرم	القاء السلمين في ديارهم مدة شهر
بحران	٣٠٠	بنو سليم	موضع بين مكة والمدينة	ربيع الأول	القرار وبقاء المسلمين في ديارهم مدة شهر
أحد	٧٠٠	٢٩٠٠	جبل أحد	شوال	سجال
حمراء الأسد	٦٣٠	٢٩٧٨	حمراء الأسد	شوال	-

السنة الرابعة ثلاث عمليات، هي:

بنو النضير ذات الرقاع بدر الآخرة	مسلمو المدينة ٤٠٠ ١٠٠٠	بنو النضير بنو ثعلبة ٣٠٠	ضواحى المدينة مكان بنجد بدر	ربيع الأول شعبان شعبان	جلاء بنى النضير فرار بنى ثعلبة عودة قريش إلى مكة

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السنة الخامسة أربع عمليات، هى:

دومة الجندل	١٠٠٠	قبائل دومة الجندل	دومة الجندل	ربيع الأول	فواد القضاء
بنو المصطلق	١٠٠٠	بنو المصطلق	المريسيع	شعبان	انتصار المسلمين
الخندق	٣٠٠٠	عشرة آلاف	المدينة المنورة	شوال	عودة الأحزاب
بنو قريظة	٣٠٠٠	بين ٦٠٠– ٧٠٠	المدينة	ذو القعدة	القضاء على بنى قريظة

السنة السادسة، ثلاث عمليات، هى:

بنو لحيان	٣٠٠	بنو لحيان	غران	جمادى الأولى	فرار بنى لحيان
ذو قرد	قوة خفيفة	غطفان	ذو قرد	جمادى الأولى	فرار غطفان
الحديبية	١٦٠٠	قريش	الحديبية	ذو القعدة	عقد الصلح

السنة السابعة، عمليتان، هما:

خيبر	١٦٠٠	يهود خيبر	خيبر	المحرم	فتح خيبر
عمرة القضاء	١٤٠٠	قريش	مكة المكرمة	ذو الحجة	بقاء المسلمين ثلاثة أيام فى مكة

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السنة الثامنة، أربع عمليات، هى:

فتح مكة	١٠٠٠٠	قريش وبنو بكر	مكة	رمضان	الفتح المبين
حنين	١٢٠٠٠	هوازن وثقيف	وادى أوطاس	شوال	اندحار هوازن وثقيف
حصار الطائف	١٢٠٠٠	ثقيف وقسم من هوازن	الطائف	شوال	فك الحصار وعودة المسلمين إلى المدينة

السنة التاسعة، عملية واحدة وهى:

تبوك	٣٠٠٠٠	جيش كبير من الروم وحلفائهم	تبوك	رجب	لم يحدث قتال

- ويلاحظ أن هذه الأحداث قد وقعت فى جميع أشهر السنة، عدا شهر ربيع الثانى.

وأن حظ شوال منها سبعة أحداث، وهو أعلى معدل.

وربيع الأول أربعة.

وجمادى الأولى، وشعبان لكل ثلاثة.

وذا القعدة، وذا الحجة، والمحـــرم، ورمضـــان لكـــل منـــهم عمليتان.

ورجب، وصفر، وجمادى الآخرة – عملية واحـــدة فـــى كـــل شهر.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب- سياسة الرسول ﷺ في جهاده مع اليهود

من اللحظات الأولى لمقدم النبى ﷺ المبـــارك إلـى المدينـة المنورة، وادع اليهود.

ولم تتجه سياسة الرسول ﷺ بداية إلى إجلائهم، أو مصـــادرة ممتلكاتهم، بل قبل وجودهم، فهم أهل كتاب منزل، والرغبة فـي إسلامهم قائمة.

وكانت الصحيفة "الوثيقة" التى دونت فيها بنـــود المعـــاهدة - الدستور- فيما بين المسلمين واليهود عامرة بالأحكـــام، وسـوف نجتزئ منها ما يتعلق بشكل خاص باليهود.

- أن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن اليهود من عوف أمة واحدة مع المؤمنين.
- لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ[1] إلا نفسه، وأهل بيته.
- وأن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف، وأن ليـــهود بنى الحارث مثـــل ما ليهود بنى عـــوف، وأن ليـــهود بنـى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف، وأن ليهود بنى جسم مثل مـا ليهود بنى عوف، وأن ليهود بنى الأوس مثل مـــا ليهود بنـى عوف، وأن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف.

١- وتغ. الواو والتاء والغين: كلمة تدل على إثم وبلية، فالوتغ الإثم، وأوتغه: القاه فـ بلية، ووتغ وتغاً: هلك. معجم مقاييس اللغة ٦/٨٤.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ان حفنة بطن من ثعلبة كانفسهم.
- ان لبنى الشطوبة ما ليهود بنى عوف، وان البر دون الاثم.
- ان مو الى ثعلبة كانفسهم.
- وان بطانة يهود كانفسهم.
- وانه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ وانه لا يحجز على ثار جرح، وان من فتك فبنفسه فتك، إلا من ظلم، وان الله على أبر هذا -أى على الرضا به- وان على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.
- وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وان بينهم النصح والنصيحة للمظلوم، وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.
- وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.
- وان الجار كالنفس غير مضار، ولأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.
- وانه ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله ﷺ.
- وأن الله تعالى على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره.
- وأنه لا تجار قريش، ولا من نصرها.
- وأن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يصالحونه، ويلبسونه، فإنهم يصلحونه ويلبسونه إذا دعوا إلى ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين.

- على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم.
- وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وان البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله تعالى على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم، وإن الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله ﷺ.(١)

- هذه بنود المعاهدة آثرت نقلها بتمامها.

وأنه بمقتضاها فإن كل الموجودين على أرض المدينة رعية واحدة، وليست لأحدهم أحكام تختلف عن غيره، مع احتفاظ كل طائفة بدينها، وفيما يتعلق بالنظام العام فإن الكل فيه سواء؛ المسلمون واليهود.

وأما الشئون الخاصة باليهود فلا دخل للنبى ﷺ فيها إلا إذا جاؤا إليه فله أن يقبل وأن يرفض.

التعاون بين القائمين على أرض المدينة كل جماعة فيما بينها هو أساس العهد.

١- الروض الأنف ٢/١٤١، ١٤٢.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومع التعاون الخاص فهناك التعاون بين الجميع لصيانة حرمة المدينة والدفاع عنها، فعدو المسلمين عدوهم جميعا، يهود وغير يهود.

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا العهد:

- **التأكيد على البر والتقوى، وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره.**
- **وأن الصحيفة لا تجير ظالما ولا آثما.**
- **وأن من ظلم وأثم فعلى نفسه وأهل بيته.**

كذلك فقد استثنت الصحيفة قبائل بنى قينقاع، والنضير، وبنى قريظة، فلم تنص عليهم لكونهم حلفاء لقبائل عربية، وإن كان ذكرهم وارد تحت كلمة يهود.

فهل وفى اليهود بالعهد؟

وهل صانوا المواثيق.؟

أكانوا صادقين فى موافقتهم على هذا الصحيفة.؟

لقد كان المتوقع أن يرحب اليهود بالإسلام ويدخلوا فيه، فإذا لم يكن هذا فليكونوا أقل من غيرهم عداوة عليه، وحقداً على أهله.

فإذا لم يكن من اليهود توقير للدين الذى يدعو إلى التوحيد، والذى أعلى من مكانة موسى عليه السلام فلتكن الوثيقة المبرمة بينهم وبين المسلمين محل تقدير وإجلال؛ خاصة وأن أمورها واجبة الاتفاق بين الجانبين، وإخلال أحدهما يذهب بحقوقه، فإن كان

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإخلال بحق من الحقوق الخارجية كمناصرة قريش وموالاتهم فقد زالت صفة الجوار، وكان للطرف الثانى حق خلعه وطرده من المدينة طوعاً أو كرهاً.

إن المراجع لكتب السيرة والتاريخ يجد أن عداوة اليهود للنبى محمد ﷺ ظاهرة بوضوح منذ طفولته، ولا تزال إلى يومنا تزداد كل يوم ضد الإسلام والمسلمين.

هم الذين أرادوا قتل النبى ﷺ وهو مع مرضعته السيدة حليمة السعدية.

فقد أورد ابن سعد فى الطبقات أن النبى ﷺ لما دفعته أمه إلى حليمة السعدية التى أرضعته قالت لها: احفظى ابنى هذا، وأخبرتها بما رأت، فمر بها اليهود، فقالت: ألا تحدثونى عن ابنى هذا فإنى حملته كذا، ووضعته كذا، ورأيت كذا؟ كما وصفت أمه. فقال بعضهم لبعض: اقتلوه؟ فقالوا: أيتيم هو؟ فقالت: لا، هذا أبوه وأنا أمه. فقالوا: لو كان يتيما لقتلناه.(١)

كذلك فى رحلة النبى ﷺ مع عمه إلى الشام، قال الراهب بحيرا لعمه وقد خاف عليه غدر اليهود بعد أن تفرس فى ملامحه، ووجد معالم النبوة فى وجهه وبين كتفيه.

ما هذا الغلام منك.؟

قال: ابنى.

١- طبقات ابن سعد ١/١١٣، وأنظر الآيات التى رأتها السيدة آمنة ﷺ حين حملت بالمصطفى، وحين ولدته فى: دلائل النبوة لأبى نعيم ١/١٣٥ وما بعدها، ودلائل النبوة للبيهقى ١/٨٠ وما بعدها.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال: ما ينبغي ان يكون ابوه حيا.
قال: فإنه ابن اخي، مات ابوه وامه حبلى به.
قال: صدقت، ارجع به إلى بلدك، واحذر عليه يهود.(١)

ومع علمهم به ومعرفتهم بصفته، وانهم كما قال الله تعالى:

﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ سورة البقرة/ ١٤٦.

ومع أنهم كانوا يستفتحون به على الذين كفروا، ويتوعدون به غيرهم، إلا أنهم كانوا أول كافر به.

قال تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ سورة البقرة/ ٨٩.

ولذلك لما قال لهم معاذ بن جبل(٢) ﷺ: يا معشر يهود! اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد، ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته.

١- أخرجه الترمذى فى سننه ٥٩٠/٥ من حديث أبى بكر بن أبى موسى عن أبيه قال: خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبى ﷺ قال: أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وانظر: دلائل النبوة لأبى نعيم ١٦٩/١، والبيهقى ٢٨/٢، ابن هشام ٢٠٦/١، حدائق الأنوار لابن الديبع ١١٨/١.

٢- معاذ بن جبل – سلطان العلماء، وأحد فضلاء الصحابة "ت ١٨هـ" له ترجمة فى: نذرات الذهب ٢٩/١.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قالوا: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذى كنا نذكره لكم[1]

ولم يتوقف أمرهم عند حد التكذيب حقـــداً، وحســـداً، وبغـ
وافتراء على النبى ﷺ ورسالته وأمته، بل إنهم عارضوا كل من
دخل فى الإسلام منهم، وكلما رأوا عداوة ضد الإسلام ناصروه
واشتركوا فيها، ويشتد هذا كلما رأوا قوة الإسلام تزيد.

وكان الرسول ﷺ دائم الصبر على عداوتـــهم حتـى اشـتد
وبالغوا فى طغيانهم.

ولم تتوقف الرسالة على رضاهم، أو رضا غـــيرهم فـإن الله
تعالى قد أسس لنبيه النبوة، وهيأ له الرسالة، وأكمل لـــه الديـن
وأتم عليه النعمة.

مجمل شناعات اليهود

إذا استعرضنا أعمال اليهود نجدها تتنوع إلى نوعين:

- أعمال تنطوى على خبث النية، وفساد الطوية مع عدم شمولها على ترجمات للغدر والخيانة.
- وأعمال تنطوى على غدر ومكر وخيانة.

والقرآن الكريم فياض بالحديث عن طباعهم، وأخلاقـــهم. ولا تكاد سورة من سوره تخلو من الحديث عن بنى إسرائيل، وكيف أنه قد أفرد للحديث عنهم مساحات واسعة. حتى قال العلماء: كاد القرآن أن يكون لموسى.

١- ابن هشام ٢/٥٤٧.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولهذا أسباب:

فهم أصحاب آخر دين سماوى، ولهم تاريخ طويل، وتجـــارب من الانحراف مريرة، فاقتضى هذا أن تقف الأمة الإسلامية علـى تجاربهم مع أنفسهم، ومجاوريهم، وأنبيائهم، ومخالفيهم للتعـــرف إلى المزالق التى أتلفتهم.

وهم أول من كاد للدعوة، ووقف ضدهـــا منـــذ اليـــوم الأول بوسائلهم المقيتة المتنوعة.

وقد علم الله أنهم سيكونون أعداء للأمة فى كل وقت، ومكـــان، فى الماضى والحاضر على السواء.

ثم إن اليهود أصحاب ماض طويل، والأمم حين يمتد تاريخـــها وماضيها تأسن، وتفسد.

قـــال تعالى: ﴿ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ الحديد/ ١٦.

وقد كان فى علم الله تعالى أن الأمة الإسلامية سيمتد تاريخـــها، فهى خاتمة الأمم، وستمر بها صنوف من الشدائد، وســـتتعرض لألوان من المحن والعقبات، فكان أن جعل أمامها هذا النمـــوذج لتعرف كيف تتفادى العقبات، وتجتاز الأزمات، وتصـــبر علـــى الابتلاءات.[1]

١- أنظر: فى ظلال القرآن ٨٦٨ بتصرف.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما المعانى التى تتضمنتها هذه الآيات فهى بعد الاعتراض الرسمى بهم:

- تبليغ الدعوة بالحكمة والأساليب المتبعة.
- تذكيرهم بما تنطوى عليه نفوسهم من فساد نية وخبث طوية.
- الإشارة إلى معتقداتهم الفاسدة، وسوء أدبهم مع الله ورسوله.
- التنبيه إلى مواقفهم الإجرامية التى آثروها نحو الإسلام وأهله.
- استمالتهم وتأليف قلوبهم، والثناء على نبى الله موسى عليه السلام والتنويه بكتابه، ومواقفهم فى بعض الأمور مما لا يمس أمور العقيدة.
- إعلان مخالفتهم فى كل شىء ليكون للمسلمين سمتهم، وتميزهم الكامل، وحدا لهيمنتهم التى كانت فى نفوس المسلمين.

وبحكم ما بين القرآن والكتب السماوية السابقة من صلات، وبحكم ما بين النبى ﷺ والأنبياء من روابط واتحاد فى الهدف والغاية، بحكم هذا كان يمكن ألا يكون بين النبى ﷺ وبين اليهود موادعة؛ فهو عليه الصلاة والسلام أحق أن يؤمنوا به، ويتبعوه، وهو أحق أن يقوموا له بالعهد وينجزوا الموعود.

إلا أن شيئا من ذلك لم يقع.

بل كان منهم تأييد للمشركين، وتأليب للمنافقين، وتفريق لوحدة المسلمين، مما جعل النبى ﷺ يقف منهم الموقف الحازم الحاسم.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأمر إلى اليهود في المدينة والقضاء عليه.

وقد نصت الوثيقة على تنظيم الأمر فيما بينهم وبين المسلمين.

التجمعات الكبيرة والتي لها سلطانها. وأراضيها، وحصونها، وقلاعها.

وكل هؤلاء وأولئك لهم طبيعتهم الخاصة، وأساليبهم الأساسية في نقض العهود، وبالتالي كان العقاب على هذا النحو:

بنو قينقاع

١- تجمع يهودي داخل المدينة، وقد كانت أحياؤهم السكنية بجوار أحياء المسلمين.

وكانوا يتخذون من التجارة وصوغ الحلى مهنة لأنفسهم، فلهم سوق باسمهم. وهم أشجع يهود المدينة. ولأنهم صاغة وحدادون وأصحاب حرف فقد كانت لديهم الأسلحة، وآلات الحرب متوفرة.

كما أنهم كانوا أصحاب مال وثروة.

تطور الأحداث.

بنو قينقاع أول من حارب المسلمين من اليهود.

وهم أول من كشف عن خبيئة نفسه.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولقد تعجلوا الشر فباؤا به.

كيف ذلك. ؟

في البداية شنوا حربا كلامية، ولـــم يشـــا رســـول الله ﷺ يؤاخذهم على كلامهم، فلقد تولى القرآن الرد على مقولاتهم.

قال تعالى:

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾﴾ آل عمران/ ١٢،١٣.

نكر ابن اسحق أن الآية نزلت فيهم.(١)

وأن الآية الثانية تذكير بنعمة النصر فى بدر، وهـــذه الرؤيـــة المضاعفة كانت وقت اللقاء فى الحرب، والله تعالى يهب نصره لمن يشاء.

وبعد هذه الجولة الكلامية صعدوا الأسلوب، فتحرك الغيظ فى قلوبهم بعد أن كتموه ثلاث سنين.

فبالغوا فى الطغيان، كما جاهروا بنقض العهد.

ثم كان منهم أن أعلنوا حزنهم لهزيمة المشركين فى بدر.

لقد طال صبر النبى ﷺ عليهم فعزم على مواجهتهم ولقد تمثل

١- ابن هشام ١٣٧/٣، تفسير القرطبى ١٢٦٦/٢.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يد الله الجهة التى
ا المسلمة، ولم تزد عن إنذارهم بالحرب بشكل عنيف
بعد معركة بدر.

ذكر ابن اسحق قال: وكان من حديث بنى قينقاع ان رسول الله
ا جمعهم بسوق بنى قينقاع. ثم قال: "يا معشر يهود احذروا من
ثل ما نزل بقريش من النقمة، واسلموا فإنكم قد عرفتم انى
الله مرسل تجدون ذلك فى كتابكم، وعهد الله إليكم.

قالوا: يا محمد! إنك ترى أنا قومك، لا يغرنك انك لقيت قوما
لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك
لتعلمن أنا نحن الناس.(١)

لقد كان النبى ﷺ هو الذى ذهب إليهم فى مكان تجمعهم موجها
إليهم بأدب ولطف تحذيراً من الغرور الذى قد أخذ منهم منتهاه؛
حتى لا يقع بهم ما وقع بغيرهم، فكان الرد المملوء بالغطرسة،
والذى أعلنوا خلاله الاستعداد للحرب، والإنذار والتهديد، وتصعيد
الموقف.

وما كان النبى ﷺ يريد فتح جبهة حتى لا يكون أول من نقض
العهد.

لقد سعى بنو قينقاع إلى حتفهم بغرورهم.
فكانت الحادثة التى فجرت الموقف.

١- ابن هشام ١٣٧/٣، تفسير القرطبى ١٢٦٦/٢.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المرأة المسلمة التي رآودها اليهودي عن كشف وجهها فرفضت، فلما جلست إلى الصائغ اجتمع حولها نفر من اليهود عمد أحدهم إلى ربط طرف ثوبها في ظهرها، فلما قامت انكشفت، فأخذ اليهود في الضحك، وصاحت الفتاة، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فعدت يهود على المسلم فقتلوه.(١)

وكانت الشرارة التي أشعلت الموقف، والقشة التي قصمت ظهر البعير.

● والملاحظ

- أن هذه الحادثة سببت ما وقع لليهود.
- فيها دليل على مركب النقص، والغدر في طبع اليهود.
- كانت ترجمة لما انطوت عليه نفوسهم من غضب وحقد وبغض للإسلام، وانتصار المسلمين في بدر.
- في قتل المسلم للصائغ -عمل فردي- لم يسبقه إصرار، أو ترصد، قام به مسلم مع وجود غيره في ذات المكان - كما هي عادة الأسواق من الازدحام بالناس.
- بيد أن رد الفعل اليهودي -كان جماعيا- فلقد تجمع اليهود على المسلم فقتلوه.
- يمثل هذا رغبتهم كفريق في نقض العهد؛ حيث رضاهم التام،

١- ابن هشام ٣/١٣٧.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولهذا فلو لم يكن الأمر على هذا النحو، لأمكن معالجته .. فيما لو كان رد الفعل فرديا – كذلك، إلا انه قد اخذ اسلوب الظاهرة في التصرف.

عند بلوغ الأمر هذا الحد لابد من الحرب دفاعا عن الفضيلة، فقد نقضوا العهد بإسلوب قبيح، وإلا فإن السكوت على جريمتهم يعنى أشياء كثيرة، وهم معرضون للغزو في كل لحظة.

تحرك الرسول ﷺ.

في تحرك سريع خاطف كان اليهود محاصرين داخل بيوتهم وحصونهم. وذلك منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة.

وأحكم النبى ﷺ الحصار عليهم مدة خمس عشرة ليلة، ولم يكن بد من نزولهم على حكم النبىﷺ فأضطروا إلى الاستسلام، ورضوا بما يفعله معهم فى رقابهم، ونسائهم، وذرياتهم، فلما أمكنه الله منهم جاءه عبد الله بن أبيٍّ بن أبى سلول، رأس المنافقين، وكان حليفا لهم، فقال: يا محمد! أحسن فى موالىّ، فأعرض عنه. فأدخل يده فى جيب درع رسول الله ﷺ – فقال له: "أرسلنى، وغضب رسول الله ﷺ – حتى رأوا لوجهه ظللا، ثم قال: "ويحك! أرسلنى" فقال: لا، والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالىَّ، أربعمائة حاسر، وثلثمائة دارع، قد منعونى من الأحمر الأسود تحصدهم فى غداة.! فقال رسول الله ﷺ "هم لك".(١)

١- ابن هشام ١٣٧/٣، دلائل النبوة للبيهقى ١٧٤/٣.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد ظن ابن أبىّ أن الرسول ﷺ سيقتلهم مع أنه علم أراد اجلاءهم، دافعاً بذلك شرهم بأقل ضرر.

وهو بموقفه هذا العجيب، الغريب على كل المقاي الإسلامية، قد بلغ الدرجة العالية فى سوء الأدب مع رسول ﷺ وصنع صنيعاً غير مألوف؛ فان يضع يده فى جيب النبوى، ويطلب منه الرسول الكريم أن يدعه ويرسله ويلح عليه النبى ﷺ فلا يقبل، إنه أمر غير مقبول ولا هو بين جندى وقائده.

ومع هذا كله استجاب له الرسول ﷺ لعله يتحول ويتفيئ إلى القواعد الربانية، أو يغسل قلبه من مرض النفاق.

فقال له النبى ﷺ: "هم لك".

كان هذا موقف رأس المنافقين.

ويقابله موقف الصحابى الجليل عبادة بن الصامت رضي الله عنه[1] أيضاً حليف لليهود.

مشى عبادة إلى رسول الله ﷺ - فخلعهم، وتبرأ إلى الله -عز وجل- وإلى رسوله ﷺ من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أتولى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم.

قال ابن اسحق: ففيه وفى عبد الله بن أبىّ نزلت هذه القصة

١- عبادة بن الصامت بن قيس، من أعيان البدريين، وكرام الصحابة "ت ٤٥هـ" ل ترجمة فى: سير أعلام النبلاء ٢/٥، تجريد أسماء الصحابة ١/٢٩٤، تهذيب التهذيب ٥/١١١، شذرات الذهب ١/٤٠.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المائدة: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم
أولياء بعض ... الآيات﴾ المائدة/ ٥١.(١)

ن النبي ﷺ قد وهبهم له، فقد شرط عليه ان يخرجوا
ه، ولا يجاوروه فيها، فخرجوا إلى اذرعات بالشام.(٢)
ن القيم:(٣) فقل أن لبثوا فيها حتى هلك أكثرهم.(٤)

وبكل فقد انتهى أمر بني قينقاع، وطهرت المدينة من
ورهم، وحاق بهم ما تعجلوه، وكان عاقبة أمرهم خسرا.

الا ما أحوج الأمة الإسلامية الآن أن تتمثل موقف عبادة وما
كمه في النفس من ولاء وبراء.

وما أحوجها أن تربى في نفوس أبنائها معنى الغيرة، والحفاظ
على العرض، وصيانة الشرف.

فمن أجل كشف وجه امرأة كانت المواجهة الحاسمة، رغم قوة
اليهود والحاجة إلى مصانعتهم، وهم في تقدير ابن أبيّ "أربعمائة
حاسر، وثلاثمائة دارع" سبعمائة رجل – ومع هذا كان الحصار
وتلاه الاستسلام للذبح.

١- ابن هشام ١٣٨/٣، دلائل النبوة للبيهقي ١٧٤/٣.
٢- اذرعات. بلد في أطراف الشام بجوار ارض البلقاء وعمان. معجم البلدان ١٣٠/١.
٣- محمد بن أبي بكر بن ايوب بن سعد "٦٩١-٧٥٣هـ" له ترجمة في: البداية والنهاية ٢٤٣/١٤. ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٧/٢.
٤- زاد المعاد ٧٩/٢.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا وقد أضيف إلى الجماعة المسلمة بعد خروجهم لغزوة جديدة من السلاح وآلات الحرب والمال.

-من لكعب بن الأشرف. ؟[1]

للشعر والشعراء أهمية فى الترويج، وعمل الدعايات، والنشر، والشعر سجل العرب، وذاكرتهم الحافظة القوية، يسجلون فيه مآثرهم. ومفاخرهم.

ولقد استخدم اليهود هذه الوسيلة فسلطوا شعراءهم ضد المسلمين، وكان من أبرزهم كعب بن الأشرف، رجل من طئ، وأمه من بنى النضير، صاحب سلطة وسيادة، ساهم بشكل كبير فى إنماء روح العداوة للإسلام والمسلمين، وسلط لسانه فما ترك فرصة للنيل من الإسلام إلا استغلها أبشع استغلال، فلما كانت معركة بدر استبد به الحزن على هزيمة قريش، وسافر إلى مكة يرثى لحال قتلاها، وتعزية مصابها وأنشد عدة قصائد يؤلب فيها قريشا ويحرضها على الأخذ بالثأر، ويبكى أصحاب القليب.

وكان مما قال:

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ∴ ولمثل بدر تستهل وتدمع

قتلت سراة الناس حول حياضهم ∴ لا تبعدوا إن الملوك تصرع

كم قد أصيب به من أبيض ماجد ∴ ذى بهجة يأوى إليه الضيع.[2]

١- شاعر جاهلى. دان باليهودية، وكان سيداً فى أخواله من بنى النضير، يقيم فى حصن قرب المدينة. الاعلام ٢٢٥/٥.

٢- ابن هشام ١٣٩/٣.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم انه و هو بمكة سأله ابو سفيان.[1] اديننا اهدى ام دين محمد؟
قال. بل دينكم.
فقال النبى ﷺ: "من لى بابن الأشرف؟ فقد استعلن بعداوتنا"[2]
وكون هذا الجواب صادر عن رجل من اهـــل الكتـــاب فلـــه دلالته. قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ النساء/ ٥١، ٥٢.

كما كان منه عندما عاد إلى المدينة بوجهه السافر جرأة فقـــد هجا رسول الله ﷺ ولم يلاحظ حرمة ولا كرامة.

كذلك أطلق لسانه فى أعراض المسلمين، ووصـــف نســـاءهم، وجعل يرقق الشعر بذكر النساء.

ولم يقف عمله عند هذا الحد بل حرض اليهود علـــى نقـــض العهد، وإشاعة الفساد، وأنه كان بأفعاله يجرئ كل من لم يؤمـــن على الخروج على الإسلام، وشن الحرب.

---

١ صخر بن حرب بن أمية، راس قريش وقائدها، أسلم يوم الفتح. "ت ٣١هـــ" لـــه ترجمة فى الجرح والتعديل ٤/٤٢٦، سير أعلام النبلاء ٢/١٠٥، تهذيب التـــهذيب ٤/٤١١، شذرات الذهب ١/٣٠، ٣٧

٢ فتح البارى ٧/٣٣٨

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نقل ابن حجر من مرسلات عكرمة[1] انه صنع طعاما وولط
جماعة من اليهود أنه يدعو النبى ﷺ إلى الوليمة، فـاذا حضـ
فتكوا به، ثم دعاه فجاء ومعه أصحابه. فأعلمـه جبريل بمـ
أضمروه بعد أن جالسه، فقام فستره جبريل بجناحه، فخرج، فلم
فعدوه تفرقوا، فقال حينئذ: من ينتدب لقتل كعب بن الأشرف.؟

وهذا السبب لا يمنع غيره، إذ لا مانع من تعدد الأسباب، فقـ
كان وراء كل سبب فرصة لمراجعة النفس، والانخلاع إلا أنه قـ
أغراه أدب الإمهال مرة بعد الثانية.

لكن إلى متى.؟

والرجل طليق، وظاهر حاله أنه لم يكن قد دخل مع النبـى ﷺ
فى عهد، ولم يسالم، أو يعتزل، بل كان منه ما كان.

وقد يقال: أن أمر كعب حالة فردية، والطريقة التى اتبعت معه
فى قتله لا تتناسب مع النهج النبوى.؟

ومع كونها فردية إلا أن صلتها بالحرب كبيرة مع الطرفيـن ـ
اليهود والمشركين.

أما الطريقة، فإن قتله لابد منه، وأظن أنه بما قدم، وأقدم عليـه
كان متوقعاً للنهاية فى أى لحظة، وبأى أسلوب، ومن توقع القتـل

١- عكرمة، مولى ابن عباس، أبو عبد الله المدنى، كان غزيـر العلـم، ومـن أهل التفسير، "ت ١٠٥ هـ" له ترجمة فى: تذكرة الحفـاظ ١/٩٥، تـهذيب التـهذيب ٧/٢٦٣، شذرات الذهب ١/١٣٠، طبقات الحفاظ/٤٣.

٢- فتح البارى ٧/٣٣٨

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فإن قتله لا يعد غدرا.

وإلا فكيف عرفت امرأته النهاية وحذرته منها، وهـــى التـــى قالت له: أنت رجل محارب، لا تنزل فى هذه الساعة، فقال: إنـــه أبو نائلة[1] لو وجدنى ما أيقظنى. فقالت: إنى لأعرف من صوتـــه الشر.

قال الحافظ: فى مرسل عكرمة: أنها أخذت بثوبه فقالت: أذكـــر الله أن لا تنزل إليه، فو الله إنى لأسمع صوتا يقطر منه الدم.[2]

فكعب لابد متوقع النهاية.

كذلك لم يصرح أحد له بالأمان، وإنما كلموه فى أمـــر البيـــع والشراء.

والغدر إنما يكون بعد الأمان، وقد قال ذلك رجل فى مجلـــس على ﷺ[3] فأمر به على فضرب عنقه[4].

-هل كان كعب معاهدا.؟

أغلب الظن انه لم يكن كذلك. ومن قال من العلماء أنـــه كـــان معاهدا فلم يرى بأسا فى قتله، ولم يمانع فيه بعد الذى كان، فقـــد

١- أبو نائلة الأنصارى: سلكان بن سلامة بن وقش. مشـــهور بكنيتـــه، شـــهد أحـــدا وغيرها، وكان شاعرا ومن الرماة. له ترجمة فى: الإصابة ٤/١٩٥.

٢- فتح البارى ٧/٣٣٩.

٣- أمير المؤمنين على بن أبى طالب، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وقاضى الأمـــة ت ٤٠هـــ" له ترجمة فى: طبقات ابن ســـعد ٣/١٩ ، تـــاريخ بغـــداد ١/١٢١٣، طبقات الشيرازى /٤١، تذكرة الحفاظ ١/١٠، شذرات الذهب ١/٤٩، غاية النهاية ١/٥٤٦.

٤- مسلم بشرح النووى ٦/٤٠٢.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نقض العهد، وهجا النبى ﷺ وسبه، وأعان عليه. وعرض بقتل المسلمين.

-رواية قتل كعب.

روى الإمام البخارى رحمه الله تعالى بسنده إلى جابر بن عبد الله -رضى الله عنهما- يقول: قال رسول الله ﷺ: "من لكعب بن الأشرف؟ ؛ فإنه قد أذى الله ورسوله، فقام محمد بن مسلمة(١) فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله.؟ قال: "نعم" قال: فاذن لى أقول شيئا. فقال: "قل" فأتاه محمد بن مسلمة، فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنانا، وإنى قد أتيتك استسلفك، قال: وأيضا لتملنه، قال: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى شئ يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين.(٢)

وحدثنا عمرو غير مرة فلم يذكر "وسقا أو سقين" فقلت له: فيه "وسقا أو سقين"؟ فقال: أرى فيه "وسقا أو وسقين" فقال: نعم ارهنونى، قالوا: أى شئ تريد؟ قال: ارهنونى نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب.؟ قال ارهنونى أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال: رهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا. ولكنا نرهنك اللامة، قال سفيان - يعنى السلاح - فواعده أن يأتيه، فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة وهو أخو

١- محمد بن مسلمة بن سلمة، من نجباء الصحابة. "ت ٤٣ هـ" له ترجمة فى: الجرح والتعديل ٧١/٨، سير أعلام النبلاء ٣٦٩/٢، تهذيب التهذيب ٤٥٤/٩، شذرات الذهب ٤٥/١.

٢- الوسق: ستون صاعا، وهو ثلاثمائة وعشرون رطلا عند أهل الحجاز، النهاية فى غريب الحديث ١٨٥/٥.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عهد من الرضاعة - فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته أين تخرج هذه الساعة.؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة، وأخى أبو نائلة. وقال غير عمرو: قالت: اسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم. قال: إنما هو أخى محمد بن مسلمة، ورضيعى أبو نائلة. إن الكريم لو دعى إلى طعنة بليل لأجاب، قال: ويدخل محمد بن مسلمة ومعه رجلان - قيل لسفيان سماهم عمرو.؟ قال: سمى بعضهم. قال عمرو: جاء معه برجلين، وقال غير عمرو: أبو عيسى بن جبر، والحارس بن أوس، وعباد بن بشر. قال عمرو: جاء معه برجلان، فقال: إذا ما جاء فإنى قائل: بشعره فأشمه، فإذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه. وقال مرة: ثم أشمكم، فنزل إليهم متوشحا وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال: ما رأيتك كاليوم ريحاً - أى أطيب - وقال غير عمرو: قال: عندى أعطر نساء العرب، وأكمل العرب، قال عمرو فقال: أتأذن لى أن أشم رأسك.؟ قال: نعم، فشمه، ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لى؟ قال نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه، ثم أتوا النبى ﷺ فأخبروه.(١)

لقد نفعت السيف حين لم ينفع الإمهال، وأجدى القتل حين لم يجد الأدب والنصح، وطول الصبر، ونفع البتر حين لم ينفع الدواء.

١- صحيح البخارى ١١٥/٥، وخرج أجزاء منه فى كتاب الجهاد ٧٨/٤، وخرجه مسلم فى صحيحه ١٤٢٥/٣، وابن سعد فى طبقاته ٣١/٢، وابن هشام ١٣٧/٣، الكامل لابن الأثير ١٤٣/٢، دلائل النبوة للبيهقى ١٨٧/٣، حدائق الأنوار لابن الديبع ٤٤/١.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حسنت ظنك بالأيام إذا حسنت ∴ ولم تخف سوء ما يأتي به الغير
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ∴ وعند صفو الليالي يحدث الكدر

-مما في قصة قتل كعب من الأحكام.

-جواز خداع الكفار في الحرب ما أمكن، ما لم يكن فيه نقض للعهد، أو الأمان.

-استعمال المعايض، والتلويح بالكلام.

-جواز الكذب تصريحا وتلويحا في الحرب. ويدخل في حديث الرجل امرأته ليرضيها، والإصلاح بين الناس للحاجة إليه في ذلك.

-وجوب قتل المعاهد إذا سب النبي ﷺ خلافا لأبي حنيفة وفيه نظر، فإن كعب بن الأشرف كان محاربا.

-قتل المشرك بغير دعوة إذا كانت الدعوة العامة قد بلغته.

-جواز الكلام الذي يحتاج إليه في الحرب ولو لم يقصد قائله حقيقته.

ومما ينبغي أن يعلم أن النبي ﷺ جعل ما ناله في غزوة أحد من محاولات متكررة لقتله، وما أصابه ولحق به من شج وكسر، وتدمية، وما نزل بأصحابه من قتل.

١- فقيه الملة: النعمان بن ثابت بن زوطا. "٨٠-١٥٠هـ" له ترجمة في: الجرح والتعديل ٤٤٩/٨. تاريخ بغداد ٣٢٣/١٣. سير أعلام النبلاء ٣٩٠/٦، وتهذيب التهذيب ٤٤٩/١٠.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جعل ذلك كله هينا فى جانب ما ناله من استهزاء، وشماتة أعداء، وسب و هجاء.

وما ذاك إلا لأن نفس الحر تتأذى بالأذى بالقول أشد مما تتأذى به من الطعن و الضرب.

ولهذا فقد عفا ﷺ عن كل من تعرض لقتله واستباح دم كل من تعرض لشتمه.(١)

ومع هذا فقد كان ﷺ صابرا محتسبا.

جراحات السهام لها إلتآم ولا يلتام ما جرح اللسان

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

١- أنظر: سنن أبى داود، باب: الحكم فيمن سب النبى ﷺ ٢/٢٢٠، سنن النسائى ٧/١٠٧، مستدرك الحاكم، باب: حكاية أم ولد كانت تشتم النبى ﷺ ٤٠/٣٥٤ وصححه، ووافقه الذهبى، السنن الكبرى للبيهقى، باب: استباحة قتل من سبه، أو هجاه رجلا كان أو امرأة ٧/٦٠.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- بنو النضير:

قبيلة من اليهود كانت تسكن المدينة ومنازلهم فى وادى بطحان والبويرة.

وبنو النضير على درجة عالية من القوة، والقتال معهم لاشك محفوف بالمخاطر.

وقد جاء أمر جلائهم فى وقت عصيب شديد على المسلمين إذ طمعت فيهم بعض القبائل، وتكالب عليهم العرب، وفتكوا بالبعوث بشكل إجرامى مما جعلهم يتوجسون خيفة من جرائم الغدر والاغتيال.

كان الجلاء بعد أحد، وأحداثها الجسام، ومشاعرها الفياضة، وما خلفته فى النفوس من مرارة، وأصداء واسعة، وشعور المناوئين بهزيمة المسلمين.

فقد عمل هؤلاء على الغدر بجنود الإسلام من الدعاة ترضية لقريش، وأملاً فى نيل حظ عندها.

وتمثل ذلك فى بعثين بعث بهم الرسول ﷺ هما: بعث الرجيع[1]

١- الرجيع: اسم ماء لهزيل بين عسفان ومر الظهران، كانت عنده الموقعة فسميت به. أما أصحابه فإن النبىﷺ بعث "عاصم بن ثابت" فى عشرة من أصحابه عيناً، فلما كانوا بالرجيع ظفر بهم "بنو لحيان" - نحو مئة رام - قتلوا منهم ستة، بعد أن أعطوهم الآمان، وهرب اثنان، واسروا اثنين هما: خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة، فباعوهما بمكة لقريش، فاشتروهما وقتلوهما.
والقصة على هذا النحو قصة غدر، وقريش ضالعة فيها. وان النصر الذى أحرزته قريش فى أحد لم يشف لها غليلاً أو تسد حاجتها لما أصابها فى بدر.
أنظر: صحيح البخارى ١١٢/٥، ابن هشام ٢٤٠/٣، طبقات ابن سعد ٥٧/٢، دلائل النبوة لأبى نعيم ٤٨٩/٢، دلائل النبوة للبيهقى ٣٥٤/٣. الروض الأنف ٢٥٠/٣، حدائق الأنوار ٥٤٥/٢.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبئر معونة (١)

هذان البعثان كانا قبل جلاء بنى النضير، وربما كان بعث بئر معونة سبباً مباشراً فيه.

ذلك أن عمرو بن أمية الضمرى – مرجعه من بئر معونة – بعد أن أطلقوا سراحه، وجد وهو فى طريق عودته إلى المدينة رجلين من بنى عامر فقتلهم، وكان معهما عهد من النبى ﷺ وهو لا يعلم به، فلما قدم المدينة أخبر النبى ﷺ فعزم على دفع ديتهما.

فذهب النبى ﷺ إلى بنى النضير فى عشرة من كبار أصحابه يستأدى ما وجب عليهم من المعاونة فى دية هذين الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية بطريق الخطأ.

وهذا بموجب العهد الذى بينهم وبين المسلمين، فإنه يقضى

١- مكان بين مكة والمدينة. وكان النبى ﷺ قد بعث إلى عامر بن مالك العامرى، سبعين رجلاً وهم: القراء على أمن وحوار وعهد فقتلتهم قبائل سليم. وعصيه ورعل، وزكوان فقنت النبى ﷺ يدعو عليهم، وعلى بنى لحيان، وكانوا قد أطلقوا عمرو بن أمية الضمرى، فلما رجع وجدوا اثنين من بنى عامر فقتلهما ومعهما جوار من النبى ﷺ – لم يعلم به فوداهما وكان من القراء: حرام بن ملحان، قد حمل رسالة من النبى ﷺ إلى رأس الكفر فى تلك البقاع: عامر بن طفيل، فما أن أوصله إليه حتى قتله عامر مع أن الرسل لا تقتل. هذه الواقعة تعرف بسرية القراء، وفضلاً عما فيها من غدر، فإنها دليل على ضخامة الأحداث التى مر بها الإسلام فى حينه، وأنها الثانية فى أيام قلائل على نفس الطريقة، ولئن كان العدد هذه المرة كثيراً، ثم أنهم نوعية نادرة من حفظة القرآن. ثم إن الغدر بمبعوث رسول الله ﷺ دليل على أن عامر بن الطفيل إنما يعمل لحساب قريش، ولم يكتف بهذا بل إنه قد استدعى واستعدى أعوانه ليواصلوا غدرهم ببقية القراء.

انظر: صحيح البخارى ٥/١٣٤، ابن هشام ٣/٢٣٠، طبقات ابن سعد ٢/٥١، الكامل لابن الأثير ٢/١٧١، دلائل النبوة لأبى نعيم ٢/٥١٢، دلائل النبوة للبيهقى ٣/٣٣٨، الروض الأنف ٣/٢٣٨، حدائق الأنوار ٢/٥٤١.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بضرورة التعاون فى أداء الديات.

فقالوا: نعم، نعينك على ما أحببت، مما استعنت بنا عليه.

ويحتمل أن النبى ﷺ قد ذهب إليهم لا بغرض الاستعانة على دية القتيلين، وإنما بغرض التشاور فى مسألة الدية، وكيف تؤدى؟ وكم، لأنهم حلفاء بنى عامر، وربما وقعت بينهما مسائل من هذا النوع قبل هذا، فهم أصحاب خبرة.

ويحتمل أن الرسول ﷺ قد ذهب للأمرين معا.

ويقوى الاتجاه الثانى أن بنى النضير لم يدخلوا فى حلف مع النبى ﷺ عند من يقول به.

ما أورده ابن حجر كسبب آخر فى ذهاب النبى ﷺ إليهم، والسبب وإن اختلف عن سابقه إلا أن نهايته من غدر وخيانة متفقة مع غيره.

قال ابن حجر: وروى ابن مرديه[1] قصة بنى النضير بإسناد صحيح إلى معمر، عن الزهرى أخبرنى عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال: "..... فلما كانت وقعة بدر كتبت كفار قريش بعدها إلى اليهود، إنكم أهل الحلقة، والحصون، يتهددونهم، فأجمع بنو النضير على الغدر، فأرسلوا إلى النبى ﷺ أخرج إلينا فى ثلاثة من أصحابك،

١- أبو بكر أحمد بن موسى. الحافظ الأصبهانى، صاحب التفسير "٣٢٣-٤١٠ هـ" له ترجمة فى: تذكرة الحفاظ ٣/١٠٥٠، طبقات المفسرين للداووى ١/٩٤، طبقات الحفاظ/ ٤١٢، شذرات الذهب ٣/١٩٠.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويلقاك ثلاثة من علمائنا، فإن امنوا بك اتبعناك، ففعـــل فالتـــمل اليهود الثلاثة على الخناجر، فارسلت امراة من بنى النضير إلـــى اخ لها من الأنصار تخبره بامر بنى النضير، فاخبر اخوها النبـــى ﷺ قبل أن يصل إليهم فرجع، وصبحـــهم بالكتـــائب، فحصرهـــم يومه، ثم غدا على بنى قريظة فحاصرهم، فعـــاهدوا، فـــانصرف عنهم إلى بنى النضير فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء.

قال ابن حجر: هذا أقوى مما ذكر ابن اسحق مـــن أن ســـبب غزوة بنى النضير طلبه ﷺ أن يعينوه فى دية الرجلين، لكن وافق ابن اسحق جل أهل المغازى، فـــالله أعلم.(١)

وبكل فإنه برغم استشهاد القراء ووقوع الأحداث المتلاحقـــــة، فإن الرسول ﷺ قد غامر بنفسه، وذهب إلى بنى النضـــير وفـــاء بالعهد، وانجازا للموعود، وإن لم يرتبط مع بنى عامر بحلـــف إلا أن للقتيلين عهدا عنده.

وقد أظهر بنو النضير تجاوبا واستعدادا للأمـــر، فلانـــوا مـــع القول وقالوا: اجلس نطعملك، فجلس النبى ﷺ ... وأسند ظـــهره الشريف إلى بيت لهم فخلا بعضهم لبعض، وأوعز إليهم حيي بـــن أخطب أن ينتهزوا الفرصة فقد لا تتكرر، ويتخلصوا من النبى ﷺ غيلة وغدرا.

وانتدب لذلك الشقى عمرو بن جحاش، وأرادوا منـــه طـــرح صخرة على رسول الله وهيأ الصخرة ليرسلها، وأشـــرف بـــها،

١- فتح البارى ٧/٣٣١.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فجاء الوحي بما عزموا عليه، فنهض النبي ﷺ مسرعا ولم يقض حاجة، ومضى عائدا إلى المدينة.

ولنا أن نلاحظ:

-كان من المتوقع أن يعتبر اليهود عموما بما حدث لإخوانهم من بني قينقاع، ويكفوا عن صنيعهم، ويلتزموا حدود الله خاصة بعد مقتل كبير شعرائهم.

-زاد اليهود من إسفافهم، وعمقوا الاتصالات بقريش، وشجعوهم على ذلك ما حدث في أحد.

-تتشابه الأحداث بين بني قينقاع وبني النضير من حيث التخطيط الجماعي في الأمرين، مقتل المسلم، ومحاولة قتل النبي ﷺ فلو أن الأمر تصرف فرد لهان الخطب.

-تثبت الوقائع ما تنطوي عليه أفئدة الكفار واليهود من أحقاد على المؤمنين، وذلك بقبولهم جميعا أحط مظاهر الغدر والخيانة.

-هذه المحاولات المتكررة لم تثر انتباه أحد ممن يقاومون المد الإسلامي، والدعوة إلى الله تعالى، فلم يعيروها اهتماما؛ لأنها المتفقة وما أحبوا، بينما لو كان الأمر قتل كافر على يد اتباع الدعوة فإن الهياج والحط على المسلمين يكون شديدا.

-في إعلان الله تعالى لنبيه ﷺ بما تآمروا عليه، وانصرافه ﷺ دون أن يشعر أحد، خصوصية من خصوصياته ﷺ. كما أن في طريقة الانصراف حكمة، فلم يشأ أن يثير الانتباه إلى

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كشف مخططهم، حتى إن أصحابه لما استيقظوا عودته قاموا إليه قالوا: نهضت ولم نشعر بك، فأخبرهم بما همت به يهود.

لقد كان رد الفعل تجاه يهود بنى قينقاع المن عليهم، فما رد الفعل تجاه بنى النضير.؟

لقد بعث النبى ﷺ إليهم محمد بن سلمة يأمرهم بالخروج وأمهلهم لذلك عشرا، فمن بقى بعدها ضربت عنقه.

وهذا جزاء الغدر ونقض العهد، فهل قبلوا.؟ أو اعترفوا بنية غدرهم.؟ لقد أنكروا ما عزموا عليه من قتل للنبى ﷺ .

قال حيي بن أخطب: عجل أبو القاسم، كنا نريد أن نقضى حاجته ونفديه.(١)

وندمت اليهود على ما صنعوا، وادعت أنها لم تفعل مع علم النبى ﷺ اليقينى بذلك.

بل لقد قال بعض أهل العلم: بل ألقوه - الحجر - فأخبره جبريل عليه السلام وأخبر النبى ﷺ .

ولما أخبرهم النبى ﷺ بأمر الله وأمره أن يخرجوا حيث شاؤا، قالوا: أين تخرجنا.؟ قال: إلى الحشر.

وقال حيي: أنا أرسل إلى محمد أنا لا نخرج من ديارنا وأموالنا، فليصنع ما بدا له.

١- أنظر: دلائل النبوة لأبى نعيم ٢/٤٩٢.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقال سلام بن مشكم: مذنك نفسك يا حيي بالباطل ..... لغير قبل أن يصل شرا من هذا.

قال: ما يكون شر من هذا.؟

قال: يسبى الذرية، ويقتل المقاتلة.

فأبى حيي أن يقبل يوما أو يومين، فلما رأى ذلك يـــامين بـ عمير، وأبو سعد بن وهب، قال أحدهم لصاحبه:

والله إنا لنعلم أنه لرسول الله، فما ننتظر أن نسلم؛ فنأمن على دمائنا وأموالنا، فنزلا من الليل فأسلما وأحرزا أموالهما.(١)

وبينما اليهود على ترددهم واختلافهم قد أرسل إليهم عبـــد الله بن أبى بن سلول، ينهاهم عن الخروج، وأنه معهم، ولئن قوتلـــوا ليقاتلن معهم.

فقويت عند ذلك نفوسهم، وثبتوا بعد تردد، وبعثوا إلى رســول الله ﷺ ونابذوه بنقض العهد جملة.

وكان على اليهود ألا يثقوا فى وعد ابن أبى لـــهم، فإنـــه وان استجاب الرسول ﷺ لمطلبه فى بنى قينقاع فحقنت دماؤهم فـــان الأمر اليوم مختلف، فللرجل سابقة خطيرة. "انسحابه بثلث الجيش فى أحد" وهو وإن واجه النبى ﷺ يومها فلم تعد لديه القدرة على مواجهته والطلب منه الآن.

جعل النبى ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم(٢) وتوجه بمن معـــه

١- نفسه ٢/٤٨٩-٤٩٨.

٢- عبد الله بن قيس بن زائدة، "ت ١٦هـ" له ترجمة فى الحلية ٢/٤، ســـير أعـلام النبلاء ١/٣٦٠، شذرات الذهب ١/٢٨.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النبى ﷺ عليهم، فلا يدخل أحد ولا يخرج منهم أحد، ولم يعلم بنا وبهم حتى جاءهم النبى ﷺ وقالوا: نحن نعطيك الذى سألت ونخرج عنا، فقال: رسول الله ﷺ: لا أقبله اليوم، ولكن اخرجوا فقد أذنت لكم بالجلاء عن ديارهم، ولهم ما حملت الإبل إلا الحلقة.

فجعلت النبى ﷺ إلا الخروج، وانتظر اليهود وفاء المنافقين، واضطرب أمر اليهود، وألقى الله فى قلوبهم الاستسلام والنزول على أمر الله تعالى، ولم يجدوا بدا من الاستسلام والنزول على أمر الله تعالى، فقد انتهى عندما انتهى النبى ﷺ إليهم، أقاموا على حصونهم والحجارة، واعتزلتهم قريظة، وخانهم ابن أبىّ لقد جاءت النتائج سريعة فى صالح المسلمين، فلتندحر الجلاء عن ديارهم، ولهم ما حملت الإبل.

وقبلوا فقد تم للمسلمين ما أراده الله لهم دون إراقة دماء أو وعز سلطانهم. وأتيح للنبى ﷺ وقد طهرت المدينة من أن يتفرغ للأعراب الذين آذوا المسلمين.

وفى أحداث بنى النضير نزلت سورة الحشر، أو سورة الحشر، قال: سورة النضير.(١) ففى البخارى أن سعيد ابن جبير قال: قلت لابن عباس

١- صحيح البخارى ٦/١٨٣.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الأحكام الشرعية المقترنة بغزوة بنى النضير

اقترن بالغزوة جملة من الأحكام الشرعية. منها:-

١- كانت بنو النضير خالصة لرسول الله ﷺ. لنوائبه ولمصالح المسلمين.

لأن الله أفاءها عليه.(١)

ولأن المسلمين لم يوجفوا(٢) بخيلهم ولا ركابهم على بنى النضير وقبض الرسول ﷺ. السلاح، واستولى على أراضيهم وديارهم، وأموالهم.

والعلماء على أن المال المأخوذ من العدو بدون قتال، للإمام حق التصرف والنظر فيه، وأنه لا يجب عليه تقسيمه، كما هو الحال فى الغنائم، وقد أخذ العلماء ذلك من صنيع النبى ﷺ، فى فيئ بنى النضير، فقد خص النبى ﷺ، به المهاجرين. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ

١- الفيئ: الغنيمة التى لا يلحق فيها مشقة. المفردات/ ٣٨٩

٢- الإيجاف: سرعة السير المفردات/٥١٤

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
فَلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ
فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾
لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ
﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ
وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ
كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾
وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ الحشر الآيات من ٦: ١٠.

والآيات تذكر المسلمين بأن الفيئ غير الغنيمة، لأنهم لم يركضوا وراءه ولم يسرعوا في تجميعه، فحكمه إلى الله ورسوله، فالله يسلط رسله على من يشاء. فهذه الأموال وإن كانت فيئا، فإن الله تعالى خصها لرسوله بحكم أنه ألقى في قلوبهم الرعب ولم يتكلفوا سفرا، ولا أنفقوا مالا.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا نوع من المال، غير الثابت، تضمنته الآية.

نوع آخر من المال؛ هو ما أفاء الله تعالى به من أهل القرى، المال الثابت- كالأرض وهذا لله تعالى، ولرسوله، ولذى القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

-واختلفوا هل تقسيم الأموال الثابتة كما تقسم الغنائم، أم تستولى لمصلحة الدولة يكون خراجها وقفا على مصالحها.

-إلى الأول ذهب عمر، وعلى، وجمع من الصحابة، وبه أخذ مالك ﷺ إلا أن يرى الإمام أن المصلحة فى القسمة فإن له ذلك وهو قريب من مذهب أبى حنيفة، وحجتهم قول الله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾.

وفى صحيح البخارى عن عمر ﷺ أنه قال: "كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة ينفق على أهله منها نفقة سنة، ثم جعل ما بقى فى السلاح والكراع عدة فى سبيل الله".(١)

والمعنى: يعزل لأهله نفقة سنة، ولكنه كان ينفقه قبل انقضاء السنة فى وجوه الخير، والحديث يؤيد مذهب عمر، والجمهور، أن الفيئ لا يخمس.

وإلى الثانى ذهب الشافعى، إذ يرى أن الأرض المأخوذة عنوة تجب قسمتها كما تجب قسمة غيرها من الغنائم، وهو ظاهر مذهب أحمد ودليل الشافعى أن النبى ﷺ، إنما تصرف فى أموال

١- صحيح البخارى ٥٦/٤، صحيح مسلم ١٣٧٦/٣. دلائل النبوة للبيهقى ١٨٥/٣.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

...

...

...

ﷺ أمر ونهى. وبهذا أخذ جمع من العلماء. وعليه نفهم الحكم
من تقطيع وتحريق النبى ﷺ لنخل بنى النضير.

روى مسلم فى صحيحه من حديث ابن عمر، أن رسول الله ﷺ
قطع نخل بنى النضير وحرق. ولها يقول حسان:

وهان على سراة بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير.

وفى ذلك: نزلت:

﴿مَاقَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝٥﴾[1].

والحديث دليل على جواز قطع شجر الكفار وإحراقه، وبه قال عبد الرحمن بن القاسم، ونافع مولى ابن عمر، ومالك، والثورى، وأبو حنيفة، وإسحاق، والجمهور. وقال أبو بكر الصديق، والليث بن سعد، وأبو ثور، والأوزاعى: لايجوز.[2] وهذا منهم مصير إلى أن الأصل عدم القطع؛ لأن هدف الحرب فى الإسلام يختلف عن هدفها عند غيرهم.

وقيل: إن علم المسلمون أن ذلك لهم، لا يجوز، وإن علموا أنه ليس لهم جاز.[3]

ولذلك نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل، وقالوا:

١- صحيح البخارى ١٨٤/٦ . صحيح مسلم ١٣٦٥/٣. دلائل النبوة للبيهقى ١٨٤/٣.
٢- صحيح مسلم بشرح النووى ٢٩٤/٦.
٣- أحكام القرآن لابن العربى ١٧٦٨/٤.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إنما هى من مغانم المسلمين، وقال الذين قطعوا: بل هـــو غيـــظ للعدو، فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم.(١)

وبهذا النصر الذى أتمه الله على المسلمين، وأظفرهم بـــه دون قتال أو بذل مجهود، أو تكلف سفر، قويت سلطة المؤمنيـــن فـــى المدينة. وعلم أن اليهود فى الماضى، والحاضر، لا يردعهم عـــن غيهم إلا السيف والقوة، وأنه لا سبيل إلى استرداد ما ســـلبوا إلا بالقوة، والحق الأعزل عنها لا قيمة له، وما لم تكن للحـــق قـــوة تحميه فلا اعتداد به، ولا رهبة منه.

٣- بنو قريظة.

التجمع اليهودى الثالث داخل المدينة المنورة، وقد كانوا أشـــد اليهود عداوة لرسول الله ﷺ، وأغلظهم كفراً، ولذلك جرى عليـــهم ما لم يجر على إخوانهم. وكغيرهم فقد ارتبط النبى ﷺ معهم بعهد موادعة، كفل لهم ولغيرهم الحرية الدينية حتى لا يتوهم أحـــد أن ما حدث لليهود بالمدينة سبب اختلاف العقيدة بل سياق الأحـــداث قاطع بأن نقض العهد، ومظاهرة المحاربين للإسلام فى مقدمـــة الأسباب.

كذلك دل السياق التاريخى للأحـــداث علـــى أن اليـــهود كمـــا وصفهم الله تعالى فى القرآن لا خلاص لهم بحال مـــن حـــالات الجبن والغدر، وسائر الطباع الفاسدة، وما عملية قبول المعـــاهدة

١- دلائل النبوة للبيهقى ٣/١٨٥.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلا لإلحاق الأضرار بالمسلمين، وإتاحة الفرصة للتفاعل و
الصف الإسلامى لتنشيط النفاق وعمليات التخذيل.

وانه لا يجدى مع اليهود إلا القوة – والقوة من مفهوم الإس
ومنطوقة – قوة العقيدة – الساعد – السلاح.

كذلك فإن اليهود لا يألون جهداً، ولا يتركون فرصة يرون فيها
أدنى رؤية للنيل من الإسلام إلا استغلوها أتم استغلال، ويهون
اليهود والكفار قواسم مشتركة من بغض الإسلام والعمل على
التخلص منه.

كما أن كفار مكة لم يهدأ لهم بال منذ أصابهم فى بدر ما
أصابهم.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ
وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ الصف/٨.

تأتى موقعة بنى قريظة كنتيجة حتمية على فشل القوى المعادية
للإسلام بجميع طوائفها وأن بنى قريظة لم يستفيدوا مما حل
بغيرهم من يهود، بل كرروا ما وقع بنو النضير فيه.

والواقع فإن بنى قريظة كانوا واقعين تحت أعباء ظلم بنى
النضير، فأنعم النبى ﷺ عليهم بأن سوى بينهم وبين بنى النضير
فى أداء الدية، وفى نفوسهم، وأموالهم.

ولم يحمدوا للنبى ﷺ هذا بل نقضوا العهد الذى بينهم وبينه،
وظاهروا عليه كفار مكة.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأحزاب الوثنية على ضرب الإسلام، ويرى فيها أفضل

الأحزاب لحرضهم على نقض العهد مع رسول الله ﷺ
حصونهم كعب بن أسد زعيم بنى قريظة، وصاحب عقدهم
أغلق حصنه دونه فقال: ويحك افتح لى حتى أدخل
فقال ويحك يا حيى إنك رجل مشئوم، وإنه لا حاجة لى
جئتنى به، إنى لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء، وقد
ودعنى ودعته، فدعنى وارجع عنى ... فلا زال به حتى فتح،
عليه قال: ويحك يا كعب، جئتك بعز الدهر، بقريش
فنزلتها بدومة، وجئتك بغطفان، على قادتها
فنزلتها بذنب أحد، جئتك ببحر طام لا يرده شىء.
فقال: جئتنى والله بالذل وبجهام -سحاب - قد هراق - صب

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

– ماؤه ليس منه شئ، ويلك فدعنى وما أنا عليه، فإنه لا حاجة لى بك ولا بما تدعونى إليه ..[1]

إن كعب بن أسد كان أقل حقدا من غيره، وقد وازن بين ماضيه وحاضره، وراجع رصيده قبل قدوم النبى ﷺ وبعده، وكان صاحب رؤية ونظر بعيد بوصفه لحيى حين قال له: إنك رجل مشئوم ... بل جئتنى بذل الدهر، وبجهام قد هراق ماؤه ....

لكنه فى النهاية استسلم ونقض العهد، وأعلن البراءة من رسول الله ﷺ، وما كان بينه وبينه.

وكان لأبى سفيان كذلك دور ساعدهم على نقض العهد، ذلك أنه قد أرسل إليهم برسالة قال فيها: إن جمالنا وأفراسنا تأخذ فى الهلاك، ولا تتمكن من مكث طويل فتحزبوا وانضموا إلينا فنحن نغير على محمد مجتمعين ....

إن هذه الأسباب مجتمعة كانت وراء انسلاخهم من عهدهم، ورفضهم المضى عليه وترامت الأبناء إلى مسامع النبى ﷺ فماذا فعل؟ كان هذا كله فى موقعة الأحزاب.

وبداية فقد كان النبى ﷺ. قد أرسل إليهم بكتيبة عليها مسلمة بن أسلم[2] مع مائتى رجل لمراقبة بنى قريظة حتى لا يلحقوا ضرر

١- دلائل النبوة للبيهقى ٣/٤٢٨.

٢- مسلمة بن أسلم بن حريش الأنصارى. ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب بهامش الإصابة ٤/٤٦٥ الإصابة ٤/٤١٨.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالمسلمين، كما جعل زيد بن حارثة(١) فى ثلثمائة لحراسة المدينة تحسبا من غدر اليهود (٢) ثم أرسل يتأكد من خبرهم بعد أن انتهى إليه.

قال ابن اسحق: فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان(٣). وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عبادة بن دليم(٤) أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة(٥) أحد بنى الحارث بن الخزرج، وخوات بنى جبير(٦) أخو بنى عمرو بن عوف، فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه،

١- زيد بن حارثة بن شراحيل. الأمير الشهيد، أبو أسامة، المسمى فى القرآن، استشهد فى مؤتة سنة ثمان وهو بن خمس وخمسين سنة، له ترجمة فى: الجرح والتعديل ٥٥٩/٣، سير أعلام النبلاء ٢٢٠/١، تهذيب التهذيب ٤٠١/٣.

٢- السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة. ٢٣٣/٢.

٣- سعد بن معاذ بن النعمان، سيد الخزرج، أبو عمرو الأنصارى الشهيد، استشهد فى أعقاب الخندق سنة خمس. له ترجمة فى: الجرح والتعديل ٩٣/٤، سير أعلام النبلاء ٢٧٩/١، تهذيب التهذيب ٤٨١/٣.

٤- سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة. السيد الكبير الشريف، أبو قيس الأنصارى الخزرجى. "ت ١٦هـ" له ترجمة فى: الجرح والتعديل ٨٨/٤، سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١، تهذيب التهذيب ٤٧٥/٣، شذرات الذهب ٢٨/١.

٥- عبد الله بن رواحة بن ثعلبة. الأمير السعيد الشهيد، أبو عمرو الأنصارى الخزرجى البدرى. استشهد فى مؤتة. له ترجمة فى: الجرح والتعديل ٥٠/٥، الحلية ١١٨/١، مجمع الزوائد ٣١٦/٩، تهذيب التهذيب ٢١٢/٥، سير أعلام النبلاء ٢٣٠/١، شذرات الذهب ١٢/١.

٦- خوات بن جبير بن النعمان بن أمية الأنصارى. "ت ٤٠هـ" له ترجمة فى: تجريد أسماء الصحابة ١٦٣/١، سير أعلام النبلاء ٣٢٩/٢، مجمع الزوائد ٤٠١/٩، تهذيب التهذيب ١٧١/٣.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا تفتوا فى أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس، قال: فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، نالوا من رسول الله ﷺ وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه، وكان رجلاً فيه حدة فقال سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا: عضل والقارة - أى كغدر عضل والقارة - بأصحاب الرجيع، خبيب[1] وأصحابه. فقال رسول الله ﷺ الله أكبر أبشروا يامعشر المسلمين[2].

رغم كل هذا فقد غلبت الرسول ﷺ روح الأمل فنهض يكبر ويقول: أبشروا يامعشر المسلمين.

وفى وصف الحالة التى كان عليها المسلمون يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ الأحزاب ١٠، ١١ والآيات تصور حجم اشتداد الخوف، وعظم البلاء، وتنوع الظنون، حتى هم البعض بالرجوع إلى المدينة وتعلل آخرون بأن بيوتهم عورة، مكشوفة غير محصنة.

١- خبيب بن عدى بن عامر. من شهداء الرجيع. له ترجمة فى: الحلية ١/١١٢، سير أعلام النبلاء ١/٢٤٦.

٢- ابن هشام ٣/٢٦١، دلائل النبوة للبيهقى ٣/٤٢٩.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما ما الذى حدث بعد ذلك كله؟ وكيف تم النصر للمؤمنين؟ هزيمة الأحزاب.؟ فهذا أمر فوق تصور البشر، والقرآن يعد ذلك كله نعمة تستوجب الشكر. قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ الأحزاب /٩. إلى أن يقول الله تعالى:

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ الأحزاب /٢٥.

-أمر الله تعالى بالتوجه إلى بنى قريظة

لذلك فإن الذى أمر بالتوجه إلى بنى قريظة هو الله سبحانه وتعالى فما إن أيقن المسلمون من عودة الأحزاب وانصرافهم عن المدينة. وعاد النبى ﷺ والمؤمنون إلى ديارهم. ووضعوا السلاح. واغتسل النبى ﷺ حتى جاءه أمر الله تعالى بالخروج لقتالهم.

ففى الصحيح. أن النبى ﷺ لما رجع من الخندق، ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح. والله ما وضعناه فاخرج إليهم. قال: فإلى أين؟ قال: هاهنا، وأشار إلى بنى قريظة، فخرج النبى ﷺ إليهم(١).

استجاب النبى ﷺ لأمر ربه تعالى، وأمر مناديا فأذن فى

١- أخرجه البخارى فى صحيحه، باب: مرجع النبى ﷺ من الأحزاب ٥/١٤٢، والبيهقى فى دلائل النبوة ٤/٥.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الناس: "لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة ...."(١)

وقال ابن إسحاق: "لما انصرف النبى ﷺ راجعا إلى المدينة [illegible] جبريل الظهر فقال: إن الله يأمرك أن تسير إلى بنى قريظة، فأمر بلالا فأذن فى الناس: من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة.(٢)

صدع رسول الله بالأمر وعزم على المسلمين أن يسارعوا فى الطاعة والتنفيذ، فتلاحقوا فى المسير، يصور ذلك مشاهدة أنس ابن مالك ﷺ فيقول: كأنى أنظر إلى الغبار ساطعا من سكة بنى غنم، موكب جبريل عليه السلام حتى سار إلى بنى قريظة...."

وعند البخارى: كأنى أنظر إلى الغبار ساطعا فى زقاق بنى غنم، موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بنى قريظة.(٣)

استعمل النبى ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم. وأعطى الراية على بن أبى طالب ﷺ حتى إذا اقترب من حصونهم سمع مقالة سوء، سبوا فيها النبى ﷺ ونساءه بشكل قبيح، وهذا لون من الاستمرار على الغى، فعاد على ﷺ.

١- أخرجه البخارى فى صحيحه، ٥/١٤٣، ٢/١٩١، ومسلم فى صحيحه ٣/١٣٩١، والبغوى فى شرح السنة ١٤/١٠، وقال: متفق على صحته، إلا أن مسلما رواه بلفظ "الظهر" قال الحافظ "لا يصلين أحد العصر" كذا وقع فى جميع النسخ عند البخارى ووقع فى جميع النسخ "الظهر" مع اتفاق البخارى ومسلم على روايته عن شيخ واحد، وقد وافق مسلماً أبو يعلى، وآخرون ثم قال: وأما أصحاب المغازى فاتفقوا على "العصر" فتح البارى ٧/٤٠٨.

٢- ابن هشام ٣/٢٦٧، فتح البارى ٧/٤٠٨.

٣- صحيح البخارى ٥/١٤٢، دلائل النبوة لأبى نعيم ٢/٥٠٣، دلائل النبوة للبيهقى ٣/٦.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فإن الله كافيك اليهود، رغبة منه ألا يسمع النبى ﷺ، سفاهة
اليهود، فقال أظنك سمعت لى منهم أذى، فامض فإن أعداء الله لو
أونى لم يقولوا شيئاً مما سمعت.

حتى إذا نزل الرسول ﷺ بحصنهم، وكانوا فى أعلاه، نادى
فيكم: أجيبونا يا معشر يهود، يا إخوة القردة، قد
جيكم خزى الله ... وحاصرهم بكتائب المسلمين بضع عشرة
ليلة.

لم تغن السفاهة عن الحق شيئاً ولم تمنع الرسول ﷺ ومن معه
من تنفيذ أمر الله تعالى، وفرض الحصار على بنى قريظة، وكان
ذلك فى الثالث والعشرين من ذى القعدة.

ماذا كان من أمرهم؟

أيقنوا أن النبى ﷺ غير تاركهم حتى يقاتلهم، وأن الاستسلام
لابد منه، فامتلأت قلوبهم فزعاً ورعباً.

تقدم كعب بن أسد فعرض عليهم خيارات.

قال كعب: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون،
وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثاً فخذوا أيها شئتم.

قالوا: وما هى..؟

قال: نتابع الرجل، ونصدقه، فو الله لقد تبين لكم أنه لنبى
مرسل. إنه الذى تجدونه فى كتابكم؛ فتأمنون على دمائكم،
وأموالكم، وأبنائكم، ونسائكم.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قالوا: لا نفارق حكم التوراة، ولا نستبدل به غيره.

قال: فإذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف، لم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمرى لنجدن النساء والأولاد.

قالوا: نقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم.؟

قال: فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه على غرة.

قالوا: نفسد سبتنا علينا، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ.

قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً.[1]

هذا الحوار إنما يكشف بحق عن طبيعة المحاور اليهودى.

وأنه كما وصفه واحد منهم هو بهم خبير: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً.؟

والرجل كما هو موقن بهذا، موقن أيضاً بصدق نبينا محمد ﷺ فى دعوته.

هكذا كانت الجولة الأولى، جبريل عليه السلام. يقود الجند، ويدير الحرب، ويزلزل الحصون.

١- ابن هشام ٢٦٨/٣، دلائل النبوة للبيهقى ١٥/٤.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورسول الله ﷺ يفرض الحصار على الحصون، وعلى يحمل الراية عند حصونهم.

ويستمر الحصار خمساً وعشرين يوماً، حتى أكلهم الرعب، وأسمعهم الصحابى الجليل أسيد بن حضير[1]. يا أعداء الله؟ لا نبرح حصنكم حتى تموتوا جوعاً، إنما أنتم بمنزلة ثعلب فى جحر، فذكروه بحلفه قائلين: يابن الحضير نحن مواليك دون الخزرج، وخاروا.

فقال: لا عهد بينى وبينك، ولا إلّ.[2]

وأمام هذا الإصرار فقد بدأوا سلسلة من المفاوضات، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ينزلهم على ما أنزل عليه بنى النضير، ولعلها كانت مشورة حيى بن أخطب، فهو من بنى النضير، وكان مقيماً فى حصن كعب بن أسد.

ولم يكن رسول الله ﷺ بالذى يقبل مساواتهم ببنى النضير، فأبى إلا أن ينزلوا على حكمه.

فبنو النضير نقضوا العهد، وحاولوا قتل النبى ﷺ وكان من أمر بنى قريظة أنهم أحاطوا المدينة بكتائبهم وكتائب المشركين، فكانوا إحدى الكوارث فى وقت عصيب، بل اشدها فاعلية؛ إنهم مقاتلون يعملون على اقتلاع الإسلام من المدينة.

١- أسيد بن الخضير بن سماك، الأنصارى، أحد النقباء. "ت ٢٠هـ" له ترجمة فى: سير أعلام النبلاء ١/٣٤٠. تهذيب التهذيب ١/٣٤٧. شذرات الذهب ١/٣١.

٢- كل حالة ظاهرة من عهد حلف وقرابة تئل - تلمع - فلا يمكن إنكاره. المفردات/٢٠.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طلبوا أبا لبابة [1] بن عبد المنذر يستشيرونه أينزلون على حكم النبى؟ فقال لهم: نعم، وأشار إلى حلقه، كانه يعلمهم بالنهاية والذبح، ثم أدرك لتوه أنه أباح ما ليس له البوح به.

قال أبو لبابة: فو الله مازلت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله ﷺ فمضى هائماً على وجهه، حتى أتى مسجد المدينة، فربط نفسه فى عمود من عمده، وحلف لا يفكه منها حتى يتوب الله -تعالى- عليه، وعاهد الله أن لا أطأ بنى قريظة أبداً، ولا أرى فى بلد خنت الله ورسوله فبه أبداً.[2]

ومرد الخيانة فى أنه قد كشف أمراً لم يأذن به رسول الله ﷺ وإلا فإنه الحكم الذى انتهى أمرهم إليه، فقد تعجل أبو لبابة الإفصاح عنه، وما كان له ذلك، لذا فقد انطلق هائماً على وجهه، وهذا يمثل بدوره قمة اليقظة فى الضمير وقوته.

قال ابن إسحاق: فحدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط[3] أن توبة أبى لبابة نزلت على رسول الله ﷺ من السحر، وهو فى بيت أم سلمة، فقالت أم سلمة: فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك، قالت: فقلت مم تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سنك، قال: تيب على أبى لبابة، قالت: قلت أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت. قال: فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن

١- أبو لبابة بن عبد المنذر، رفاعة، وقيل بشير، أحد النقباء من الأنصار. تجريد أسماء الصحابة ١٩٨/٢.

٢- أنظر: دلائل النبوة للبيهقى ١٣/٤، ١٤. ١٦.

٣- يزيد بن عبد الله قسيط بن أسامة، حدث عن جملة من الصحابة. "ت ١٢٠هـ" ترجمة فى: تهذيب التهذيب ٣٢٤/١١.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعمرو بن الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك، فثار الناس إليه ليطلقوه، فقال: لا، والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يطلقنى بيده، فلما مر عليه رسول الله خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه.(١)

قال تعالى:

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ التوبة/ ١٠٢.

وانتهت هذه الجولة من المفاوضات وقد سمح الرسول ﷺ خلالها لليهود الذين رفضوا الغدر، والتزموا العهد، ولم ينقضوه أن يخرجوا إلى حيث شاؤا، وفاء لهم.(٢)

وبدأت جولة أخرى حين قرروا أن يهجموا على الحصون، ويفتحوها عنوة، فصاح علىٌ رضي الله عنه: يا كتيبة الإيمان، ومعه الزبير بن العوام، وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة(٣) أو لأفتحن حصنهم، فقالوا: يا محمد! ننزل على حكم سعد بن معاذ.(٤)

-سبب اختيارهم لسعد بن معاذ رضي الله عنه.

كان سعد حليفا لهم فى الجاهلية، فهو سيد الأوس، وقد توقع

١- ابن هشام ٢٦٨/٣، طبقات ابن سعد ٧٤/٢، دلائل النبوة ١٦/٤.
٢- ابن هشام ٢٦٩/٣.
٣- حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، سيد الشهداء، عم رسول الله ﷺ . له ترجمة فى: سير أعلام النبلاء ١٧١/١، شذرات الذهب ١٠/١
٤ ابن هشام ٢٧٠/٣

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اليهود أن هذه الصلة ستفيدهم، أو على الأقل ستحيطه [illegible] معهم، خاصة والرجل قد شاهد ما عومل به بنو قينقاع، والنضير وربما جرى الحكم على ما كان، لا سيما وأن الأوس قد [illegible] فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت [illegible] إلى إخواننا بالأمس ما قد علمت.

لذلك رد النبى ﷺ الأمر إلى الأوس قائلا: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم.؟ قالوا: بلى، قال رسول الله ﷺ: فذاك سعد بن معاذ.

رصيد التجربة عند سعد بن معاذ ﷺ والظرف الذى قد أحاط به.

عندما استنزلهم النبى ﷺ على حكمه قال حين سألوه أن يحكم فيهم رجلا: اختاروا من شئتم من أصحابى، فاختاروا سعد بن معاذ، فرضى بذلك رسول الله ﷺ.

فأمر رسول الله ﷺ بسلاحهم فجعل فى قبته، وأمر بهم فكتفوا وأوثقوا، وجعلوا فى دار أسامة، وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فأقبل على حمار، واتبعه رجل من بنى عبد الأشهل، فجعل يمشى معه ويعظم حق بنى قريظة، وينكر حلفهم، والذى لبس رحمتك وعطفك، وتحننك عليهم، فاستبقهم؛ فإنهم لك جمل وعدد.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال: فأكثر ذلك الرجل، ولا يرجع إليه سعد شيئاً، حتى دنـــوا، فقال: الرجل: ألا ترجع إلى فيما أكلمك فيه؟ قال سعد: قد أن لـــى أن لا تأخذنى فى الله لومة لائم، ففارقه الرجل، فأتى قومه فقالوا: ما وراءك؟ فأخبرهم أنه غير مستبقيهم، وأخبرهم بالذى كلمه بـــه، والذى رجع سعد إليه، فحكم فيهم أن تقتـــل مقاتلتـــهم، وتسـبى ذراريهم ونساؤهم، وتقسم أموالهم .... (١)

ومن السياق التاريخى لأمر بنى قريظة رأينا أن أمر نقضـــهم للعهد لما انتهى إلى رسول الله ﷺ فقد بعث إليهم بوفد ضم ســـيد الأوس، سعد بن معاذ، وسيد الخزرج، سعد بن عبادة، رضـى الله عنهم جميعاً – فلما وصلوا وجدوهم على أخبث ما بلغهم عنـــهم، ثم إنهم نالوا من رسول الله ﷺ فشاتمهم سعد بن معاذ، وشـــاتموه، حتى قال سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننـــا وبينـــهم أربى من المشاتمة ...

ثم إن الرجل لم ينس مع كل ما قدم إليه من رجاء أن الإســـلام والمسلمين، والمدينة .. إنما نجوا من غدر الأحزاب، الحـــاقدين بقدرة قادر، فما كانت قوة البشر لتردهم. وحين تعجز يد البشـــر تمتد يد القدر لتعمل عملها، وتأخذ بالظالمين إلى الهاوية.

قال تعالى:

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ الأحزاب/ ٢٠.

١- دلائل النبوة للبيهقى ٤/١٨، ١٩.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لم ينس الرجل أن بنى قريظة هم المحرضون والشركاء الأصلاء فى هذه الحرب التى أخذت على عاتقها استئصال الإسلام، لم ينس أن يعاملهم كمقاتلين، وبمثل ما عزموا على معاملة المؤمنين به، لو أن الأمر قد تم للأحزاب على ما أرادوا.

هذا: وكان سعد ﷺ قد رماه رجل من قريش فى الأكحل[1] فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة فى المسجد ليعوده من قريب.

وتقول الرواية: رمى سعد بن معاذ يوم الأحزاب فقطعوا أكحله، فحسمه رسول الله ﷺ بالنار، فانتفخت يده، فتركه فنزف الدم، فحسمه أخرى، فانتفخت يده، فلما رأى ذلك قال: "اللهم لا تخرج نفسى حتى تقر عينى من بنى قريظة، فاستمسك عرقه، فما قطرت منه قطرة، حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ.[2]

-الحكم وتأييد الله له.

حكم سيدنا سعد بأن تقتل الرجال، وتسبى الذرية، وتقسم الأموال.

ونصه كما فى الصحيح: "فقال له رسول الله ﷺ - لسعد - إن هؤلاء نزلوا على حكمك، قال: فإنى أحكم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى الذرية.

قال: "لقد حكمت فيهم بحكم الملك".[3]

١- وريد وسط الذراع.
٢- دلائل النبوة لأبى نعيم ٢/٥٠٣.
٣- صحيح البخارى ٤/٨١، صحيح مسلم ٣/١٣٨٨، دلائل النبوة للبيهقى ٤/١٨.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واختلفوا فى عدتهم، فعند ابن إسحاق أنهم كانوا ستمائة، وبه جزم أبو عمر فى ترجمة سعد بن معاذ.

وعند ابن عائذ من مرسل قتادة: كانوا سبعمائة.

وقال السهيلى: المكثر يقول إنهم ما بين الثمانمائة إلى التسعمائة.

قال الحافظ فى الفتح: وفى حديث جابر عند الترمذى، والنسائى، وابن حبان بإسناد صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل، فيحتمل فى طريق الجمع أنه يقال إن الباقين كانوا اتباعاً، وقد حكى ابن إسحاق أنه قيل إنهم كانوا تسعمائة.(١)

وقد أرجف المرجفون من المستشرقين ومن لف لفهم. فأرغوا وأزبدوا حول عدد القتلى، وكما هو ظاهر فإن القطع فيها برأى متعذر، وأيا ما كان فإن ابن حجر قد وفق بين الروايات. ويمكن القول بأن العدد كان ما بين الأربعمائة والتسعمائة، أقل الأعداد المذكورة وأكثرها.

وهذا لأن العدد لا قطع فيه بيقين.

والمنهج عند علماء الحديث يختلف عنه عند علماء السير والمغازى.

ولعل هذا هو سبب سكوت أصحاب الصحاح عن ذكر العدد وتحديده، اللهم إلا ما كان من الترمذى والنسائى، وابن حبان.

١- فتح البارى ٧/٤١٤.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والعدد عندهم أربعمائة.

هذا من ناحية، وثمة أخرى لها أهميتها ودلالتها؛ ان ابن لسعو
نقل أن سعدا حكم بان تقتل الرجال، وتسبى الذرية ...
بينما رواية البخارى تقتل المقاتلـــة .... وفـــرق كبـــير بي
الأمرين.

فما كل رجل مقاتل، وما كل بالغ لابد وان يكون مقاتلا.

والدقة المنهجية، والضبط لدى البخارى أوفر ولا ريب فى ان
رواية البخارى أصح.

وخلق النبى ﷺ وما جبل عليه من رحمة وتســـامح، وعفـو،
ولين، كل هذا له اعتباره فى المسألة وعند التنفيذ.

وسياق التاريخ دال على عفوه، وكم عامل مخالفوه بلغة الصفح
الجميل، والشفقة. وما أكثرهم.؟

ثم إن العادة قد جرت بأن يذكر علماء السير عدد الجيوش من
الفريقين، وعدد القتلى، والاختلاف بين عالم وآخر يكون قريبـا،
فغالباً ما يكون من فئة العشرات. فما بالهم اختلفـوا علـى هـذا
الشكل الواسع فيما يخص بنى قريظة وقتلاها.؟

ولا يقولن أحد إن الحكم كان شديداً.

وكان جديراً بأن يخفف.

فإن القوم كانوا مقاتلين، وماذا لو لم يكف الله المؤمنين القتال.؟
وكانت الغلبة لهم.؟

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم إنهم قبلوا التحكيم واختاروا الحكم، وفوضوا له الأمر، ولهم معه سابقة، وحذرهم أن ينزل بهم ما نزل ببنى النضير.

والوقائع تثبت إن من يفر منهم يعمل على تاليب غيره كما هو حال حيى بن أخطب.

إنه ليس ثمة من جزاء إلا القتل.

-فلم لم يعاملهم النبى ﷺ معاملة الأسرى؟

لأن الله تعالى يقول:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾... الآية ٦٣ من سورة الأنفال. الإثخان: كثرة القتل والمبالغة فيه.

والمعنى ما كان لك يا محمد أن يكون لك أسرى حتى يغلظ قتلك فى الأرض. وتثبت هيبتك فى النفوس، فأمر الأسرى واتخاذهم متوقف على الإثخان، وإثخان كل شىء، قوته وشدته، أى حتى يقوى ويشتد ويغلب ويبالغ فى القهر.

ثم إن من المفسرين من قال: يبالغ فى قتل أعدائه، لأن الملك لا يقوى إلا بذلك، المهم أنه بعد حصول الإثخان فى الأرض، له أن يقدم على الأسر.

وفى سورة القتال:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ ....﴾ الآية (٤) من سورة القتال. والمسلمون لم يشدوا الوثاق، ولم يثخنوا فى الأرض، بل إنهم قبلوا الذى قبلوا اليهود، وهو النزول على حكم سعد.

وبنو قريظة كانوا امتدادا للأحـــزاب، والأحـــزاب قد ولوا عائدين، بعد أن قذف الله فى قلوبهم الرعب، وكان من المفترض أن يقاتلوا بعد انصراف الأحزاب لكنه لم يحدث، فكيف يعامل معاملة الأسرى وهم ليسوا كذلك.؟

-مصير حيى بن أخطب.

أورد البيهقى وغيره أن النبى ﷺ لما اســـتنزلهم، خـــرج إلى موضع الخنادق التى هى سوق المدينة اليوم، فخندق بها خنـــادق ثم بعث إليهم فجيئ بهم أرسالا، وفيهم عدو الله حيى بن أخطب وكعب بن أسد، رأس القوم.

وهم ثمانمائة، أو تسعمائة. والمكثر لهم يقول: ما بين الثمانمائة والتسعمائة، وقد قالوا: لكعب بن أسد وهو يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ. أرسالا، ياكعب ما تراه يصنع؟ فقال: فى كل موطـــن لا تعقلون. ألا ترون الداخل لا ينزع، وأنه من ذهب بـــه منكم لا يرجع هو والله القتل، فلم يزل ذلك الدأب، حتى فرغ رســـول الله ﷺ منهم.

فأتى بحيى بن أخطب عليه حله فقاحية – تميل إلى الحمـرة- قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأنملـــة لكيـــلا يســـلبها،

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل.

ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه، فقال جبل بن جوال الثعلبى:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل

يجاهد، حتى أبلغ النفس جهدها وقلقل يبغى العمر كل مقلقل

وبعض الناس يقول: حيى قالها.[1]

وفيه أن شرار الناس قد يقول كلمة الحكمة وينطق بالحق والصواب.

-غنائم بنى قريظة.

ذكر ابن اسحق أن الرسول ﷺ قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأعلم فى ذلك اليوم سهمان الخيل، وسهمان الرجال وأخرج منها الخمس، فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفارس سهمان، وللفرس سهم، وللراجل من ليس له فرس، سهم، وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثون فرساً وكان أول فيئ وقعت فيه السهمان، وأخرج منها الخمس، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم، ومضت السنة فى المغازى.[2]

١- ابن هشام ٣/٢٧٠، دلائل النبوة للبيهقى ٤/٢٣.
٢- ابن هشام ٣/٢٧١.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-من مناقب سيدنا سعد بن معاذ ﷺ

السيد الكبير الشهيد، أبو عمرو، الأنصارى، الأوسى. البدرى، مناقبه كثيرة، مشهورة. ومنها:

أن قريشا سمعت هاتفا على جبل أبى قبيس يقول:

فإن يسلم السعدان يصبح محمد ... بمكة لا يخشى خلاف المخالف

فقال أبو سفيان: من السعدان.! سعد بكر، سعد تميم، فسمعوا فى الليل هاتفا يقول:

أيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً ... ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيبا إذا داعى الهدى وتمنيا ... على الله فى الفردوس منية عارف

فإن ثواب الله للطالب الهدى ... جنان من الفردوس منية ذات رفارف

فقال أبو سفيان: هو والله سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة.(١)

كانت أم المؤمنين السيدة عائشة ﷺ فى حصن بنى حارثة يوم الخندق، وأم سعد معها، فعبر سعد عليه درع مقلصة، قد خرجت منه ذراعه كلها، وفى يده حربة يرفل بها ويقول:

لبِّث قليلاً يشهد الهيجا حملْ ... لا بأس بالموت إذا حان الأجل

فقالت له أمه: أى بنى! قد أخرت. فقلت لها يا أم سعد: لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى، فرمى سعد بسهم قطع منه الأكحل، رماه ابن العرقة، فلما أصابه قال: خذها منى، وأنا ابن

١- سير أعلام النبلاء ١/٢٧٩.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العرقة. فقال: عرق الله وجهك فى النار، اللهم إن كنت ابقيت من حرب قريش شيئاً فابقنى لها، فإنه لا قوم احب إلىّ من ان اجاهدهم فيك من قوم آذوا نبيك، وكذبوه، واخرجوه، اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة، ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة.(١)

فى دعاء سعد، وقد استجاب الله - تعالى - له، وتحجر الدم وتماثل الجرح للشفاء حتى كانت غزوة بنى قريظة، وجعل الرسول ﷺ الحكم فيهم إليهم، وموافقته ﷺ لهم فى الحكم، وتأييده لكل ما حكم به. مزايا ومناقب.

ثم لما انتهى الأمر، ونفذ الرسول ﷺ الحكم، وأدى الصحابى الجليل المهمة دعى ربه: اللهم فإنى أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها، واجعل موتى فيها .. وقد استجاب الله دعاءه من ليلته.

قال الحافظ: والذى يظهر لى أن ظن سعد كان مصيباً، وأن دعاءه فى هذه القصة كان مجاباً، وذلك أنه لم يقع بين المسلمين وبين قريش من وقعة الخندق حرب يكون ابتداء القصد فيها من المشركين، فإنه ﷺ تجهز إلى العمرة، فصدوه عن دخول مكة، وكادت الحرب تقع بينهم فلم تقع كما قال الله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ

١- مسند أحمد ١٤١/٦، طبقات ابن سعد ٤٢٢/٣، دلائل النبوة لأبى نعيم ٥٠٣/٢، دلائل النبوة للبيهقى ٢٧/٤، سير أعلام النبلاء ٢٨٢/١.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ الفتح/ ٢٤ ثم وقعت الهدنة، واعتمر رسول الله ﷺ من قابل، واستمر ذلك إلى أن نقضوا العهد، فتوجه إليهم غازياً، ففتحت مكة[١].

وقال رسول الله ﷺ: اهتز العرش لموت سعد بن معاذ.[٢]

والحديث قد روى من وجوه كثيرة متواترة.

وقال ﷺ: "لمناديل من مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها"[٣] من جبة كان النبي ﷺ يلبسها.

والمراد باهتزاز العرش:

استبشاره وسروره بقدوم روحه.

يقال لكل فرح بقدوم قادم عليه: اهتز له، ومنه اهتزت الأرض بالنبات إذا اخضرت وحسنت.

ووقع ذلك من حديث ابن عمر عند الحاكم "اهتز العرش فرحا به"[٤].

ومن الصحابة من حمل العرش، على عرش سعد، سريرة كالبراء بن عازب، وابن عمر رضى الله عنهم جميعاً.

قال البراء: إن العرش لا يهتز لموت أحد.

١- فتح البارى ٤١٤/٧.
٢- أخرجه البخارى فى صحيحه ٤٤/٥، ومسلم فى صحيحه ١٩١٥/٤، والترمذى فى سننه ٦٨٩/٥، وابن ماجه فى سننه مقدمة ٥٥/١، وأحمد فى مسنده ٣٥٢/٤.
٣- صحيح البخارى ٤٤/٥، صحيح مسلم ١٩١٦/٤، مسند أحمد ٢٣٤/٣.
٤- المستدرك للحاكم ٢٠٦/٣.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عمر: يعني عرش
قال الحاكم: الأحاديث المصرحة باهتزاز عرش
صحيحة في الصحيحين، وليس لمعارضها ذكر. انتهى.
المراد اهتزاز حملة العرش.
هو علامة نصبها الله لموت من يموت من أوليائه؛
ملائكته بفضله.
إذا عظموا الأمر نسبوه إلى عظيم، وهذه منقبة
الحربي: إذا

المدرسة التربوية

الدروس والأحكام

- ظهرت سياسة الرسول ﷺ في معاملة يهود، فقد صالحهم
ودعهم وشرط عليهم ألا يظاهروا عليها أحدا، وهم على كفرهم
على دمائهم وأموالهم ما لم ينقضوا العهد.

فلما كان منهم نقض بالعهد عاملهم معاملة المحاربين، أجرى
عليهم أحكام أهل الحرب وعليه فللإمام قتل المقاتلة، وسبى
الذرية، والمن على من أراد؛ والمن إنما ينفع فيما مضى لا فيما
يستقبل.

- كذلك جوز العلماء التحكيم وقالوا به في الأمور العظيمة
الهامة، خلافا للخوارج الذين قالوا: لا حكم إلا لله تعالى. وقد أقام

١- فتح الباري ٧/١٢٤.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العلماء عليهم الحجة. وإذا حكم الحاكم بشىء لـــزم حكمـ
يجوز الرجوع فيه، ويمكن الرجوع قبل الحكم(١).

- فى اختيار سعد بن معاذ للتحكيم ترضية لجميع الأطـ
فضلاً عن رصيد التجربة لديه. وفى ذلك تجنـــب للصـدا
الأوس الذين طمعوا فيما طمع فيه الخزرج، فلئن حكم ابن أبـ
فى بنى قينقاع، فليحكم سعد فى بنى قريظة.

- تقرير مبدأ الاختلاف - الفروعى - التقديـــرى - اختـ
التنوع فى فهم مراد الشارع من كلامه فـــهو توســعة ورحم
واعتبار كل من المتخالفين مأجوراً ومثاباً على اجتهاده، ومعذ
عليه، أصاب الحق أو لم يصبه، هذا الاختلاف ســاعدت علـ
عوامل كثيرة، منها ما يتعلق بطبيعة النص الشرعى المستنبط م
الحكم، ومنها ما يتعلق بطبيعة اللغة العربية وكونها حمالة أوجـ
ومنها ما يتعلق بطبيعة العقل البشـــرى المتعـامل مـع النصـ
واللغة.(٢) وإذا علمت هذا علمت أن السعى وراء إلغاء الاختـلا
الفروعى - التقديرى سعى وراء وهم، فليس فى إلغائه ما يخـدم
المصلحة.

- ظهر من الحوار الذى أجراه كعب بن أسد مع قومه أمور
التأكد من نبوة سيدنا محمد ﷺ.

١- أنظر صحيح مسلم بشح النووى ٦/٣٣٧.
٢- أنظر اختلافات المحدثين والفقهاء فى الحكم على الحديث، وضوابط الاختلاف فى
ميزان السنة. ط. دار الحديث. للباحث.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ظاهرة المحاور اليهودى؛ اللجاج والعناد.

- الإصرار على الخطأ، أو المصلحة، أقل عنادا وحقدا.

- حساسية نفس أبى لبابة المؤمنة ويقظة ضميره، وهمه بما يجرد التلميح بما عزم عليه النبى ﷺ، أو بما توقعه كجزاء مقابل الجرم، وفرح النبى ﷺ بتوبة الله عليه، وتقدير النبى ﷺ لحجم ما يجر منه، وهمه بمساعدته لو أنه قد عرض الأمر عليه، هل لن يكون منه ما كان.

- موقف حيى بن أخطب – حتى وهو ذاهب لضرب عنقه، دليل على تأصل الشر. وفى قوله ندمه على ما كان منه، من يخذل الله يخذل نطق بكلمة الحق وان الكاذب قد يصدق.

- مناقب ومآثر سيدنا سعد بن معاذ؛ سيد الأوس عظيمة ووفيرة ومنها صدقه فى ظنه وفراسته، "اللهم فإنى أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فأفجرها واجعل موتى فيها" رضى الله عنه وأرضاه.

قال بن إسحاق: ولما انصرف أهل الخندق: قال رسول الله ﷺ فيما بلغنى: لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونهم، فلم تغزهم قريش بعد ذلك، وكان هو الذى يغزوها، حتى فتح الله عليه مكة.(١)

١- ابن هشام ٣/٢٧٦.

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأخيرا فهل انتهت العداوة بين المسلمين واليهود بالنسبة لبني قريظة. وجلاء بنى قينقاع، وبنى النضير؟ إن اليهود لا يؤمنون إلا بشر ما بقيت لهم حياة.

إن بعضهم ذهب إلى خيبر يعمل على تأليب أهلها من جديد على الإسلام.

لقد التقت جهود اليهود جميعا الذين تبقوا في خيبر على استئصال الوجود الإسلامى.

والطبيعة اليهودية تظهر عند ضعف أعدائها. لا شيء يقف أمامها.

ولا وزن ولا قيمة لعهد، ولا مبدأ أو خلق ...

وما أحوجنا إلى تعرف هذه الطبيعة.

إن فقه نفسية العدو تعطى كثيرا من التنبيهات والإضاءات التى تحتاجها عند مواجهته.

إن اليهود على وعى تام بمعرفة مصيرهم المحتوم.

وهم على وعى أتم بمعرفة أن النصر للمسلمين، وأن المستقبل للإسلام، وأن قوة المسلمين تكمن فى عقيدتهم.

وفى الحديث الذى رواه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة:

أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون. حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر. فيقول الحجر والشجر: يا مسلم. يا عبد الله ؟ هذا

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

... فتعال فاقتله، إلا المرقد فإنه من شجر اليهود...[1]

... حتى من الحجر والشجر.

... من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

١- صحيح مسلم ٤/٢٢٣٩، مسند الإمام أحمد ٢/٤١٧.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من نتائج البحث

- اقتضت حكمة النبى ﷺ ان لا يبدا اليهود بعدوان، وادعهم. وأخذ عليهم العهود، وكان منهم ان نقضوا بإصرار.

- كما كان من سياسة النبى ﷺ بعد كل معركة مع قوى الشر أن يخوض معركة مع اليهود، فرضتها عليه وقائع الأحداث. فبعد بدر كانت المواجهة مع بنى قينقاع.

وبعد أحد، كانت مع بنى النضير.

وبعد الأحزاب ومعها، كانت بنى قريظة.

- اليهود هم اليهود فى كل وقت، فى القديم والحديث. أحكام القرآن والسنة فيهم نهائية، لا تقبل جدلا ... لا يردعهم عن غيهم، ولا يوقفهم عن غرورهم، وغدرهم .... إلا القوة فوجب العمل لذلك، والإعداد له.

- اليهود جنس لا يستريح إلا إذا انفرد فى العالم بالبقاء، لا عهد لهم، ولا ميثاق.

- يجب أن تتيقظ المعانى الجهادية فى نفوس وضمائر أبناء الأمة، وأن يعمل الجميع على إحياء هذه الفريضة الغائبة، وإعادتها للوجود من جديد.

- الإسلام قادم، والمستقبل له، فوجب تمهيد الطريق لذلك.

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الباطل المدعوم بالقوة سيفرض نفسه، وسيسود منطقه.

ومن الأمور الجديرة ما يجب أن تكرس له جهود العـــاملين في الحقل الدعوى والتربوى، من اهتمام بالغ بتدريس الســيرة باعتبارها تشكل منهجا تطبيقيا عمليا للسنة النبوية المطـــهرة.

والتي لا غنى للأمة عنها، ولابد منها.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يوسف/ ٢١

الباحث د/ عبد الله شعبان

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner